الوعد المنجَّز في نقد النَّصِّ المؤسَّس

لخليل عبدالكريم

بقلم

صلاح بن علي الزيات

نسخة معدّلة ومراجعة

١٤٣٨هـ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

إنّ استبانة سبيل المجرمين مقصدٌ من مقاصد الشارع الحكيم كما قال تعالى :(وكذلك نفصِّلُ الآياتِ ولتَستَبِيْنَ سبيلُ المجرمين)، والمجرمون قد سلكوا سبلاً كثيرةً للصدِّ عن سبيل الله تعالى، ومكروا مكراً لو زالتِ الجبالُ منْ شدَّة شيءٍ لزالتْ من شدَّته (ومكروا مَكْرَهُمْ وعند الله مكرُهُم وإنْ كانَ مكرُهُم لِتَزُوْلَ منه الجبال) .

وقد كان من أعظم السُّدود التي وَقَفَتْ – على مرِّ العصور– حاجزاً دون ذوبان المسلمين في الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم هو: القرآنُ الكريم، الذي أبطل جميع نظرياتهم التي تزعم أنَّ الأديانَ –وعلى رأسها الإسلام – ما هي إلا ظاهرةٌ تاريخيةٌ جاءت نتيجةً لمؤثراتٍ وأوضاعٍ معينةٍ؛ وسوف تزول وتتغيَّر بتغيُّر العصر واختلافِ البيئة، مما يعني: أنَّ الإسلام آن أوانُ التخلِّي عنه واستبداله واطِّراح دستوره "القرآني"، لما مرَّ بالعالم وبالجنس البشريِّ من تغيراتٍ كثيرةٍ ضِمْنَ ما يسمَّى بالتطُّور التاريخيّ؛ ولكنَّهم صُدموا ببقاءِ القرآن الكريم واتِّساع دلالته لتشمل كل ما يجدُّ من أمورٍ وقضايا، ومن ثَمَّ يزدادُ التفاف المسلمين حوله.

فلم يكن بدٌّ أمامَ أولياء الشيطان من أنْ يُفَوِّقُوا سهامهم صوب القرآن الكريم، ليشكِّكوا فيه ويضعفوا مكانته في نفوس المسلمين، فجاءت تلك الجهود البائرة الكثيرة والمحاولات اليائسة لتصديع الدين وتحقيق حلم موت الكائن المسلم.

وستثبت الأيام القادمة أنّ هذه المحاولات ليست سوى آليات مصطنعة توظَّف لقصد تدليس النص القرآني ودلالاته، وستبقى مثل هذه المحاولات رهينةً لنزعات

التناقض والعبثية، لأن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي يعلو على كل مفردات الخطاب البشري المألوف.

لقد قهر القرآن الكريم مقولة "الانحدار الزمانيّ" بعد أن أثبت تعاليه على عقبة "فعل الزمان" بأي شكل من أشكال التغيير، أو حدوث أي نمط من أنماط اندثار معانيه ودلالات مفرداته التي لا تخلق مع كثرة الرد.

وسيبقى الإيمان العميق بمعجزة القرآن راسخاً في قلب المؤمن الذي تتشبع خلايا فكره وبدنه بقناعات مؤصلة؛ قادرة على التصدي لكل محاولات الهيمنة، التي تسعى لتحريف التاريخ، واجتثاث حقائق إعجاز النص القرآني من الكون.

ونحن الآن أمام صورةٍ من صور ذلك المكر الكُبَّار؛ إنه كتابُ " **النص المؤسس ومجتمعه**" لمؤلفه: "خليل عبدالكريم" وكِبَرُ المَكْرِ في هذه الصورةِ جاء من جهةِ عِظَم الفِرية وجراءة الطرح..لامن جهةِ قوَّة الحجَّة واستقامة البناء الاستدلالي؛ فليس في هذا الكتاب إلا محاولات مهزوزة وتشكيكات ضعيفة، أعاد صفَّها صاحبُها مما كتبه المستشرقون، ومزجها بشيء من التزويق اللفظي والطعن المخاتل، ليجيء نتاجُ ذلك كله في هذا الكتاب الموسوم بـ: النص المؤسس ومجتمعه.

وحتى لا استرسل في الوصف - الذي أرجو أن يكون دقيقاً لهذا الكتاب – فأتعجلَ عارضاً مضمون فصل "عرض الكتاب"، فإني أقتصر هنا على هذه الإشارة السريعة، التي عجزت فيها عن التجرد من مشاعري تجاه الكتاب المنتَقَد.

وقد كان من الصعوبة بمكان كبير أن يُنْقَدَ كتابٌ مكون من (٦٦١) صفحة؛ حُشِيَتْ هذه الصفحات التي تنيف على الستمائة بالأخطاء الشرعية الكبيرة التي تمس أصولاً أَكثَرَ أهلُ العلمِ الكلامَ فيها، ودوَّنوا فيها المؤلفات العظام: كالقول

في القرآن، والكلام في عدالة الصحابة وفضلهم، وإثبات نبوة النبيﷺ..الخ، كل ذلك يتمُّ خلال ما يقارب (٤٣) يوماً؛ يتخللها شهر رمضان بكل ما فيه! أقول: لا شك أنه أمر صعبٌ، لعله يُقبَلُ عذراً لما قد يعتري هذا العمل من خلل، مع ضميمة النقص الطبعي الذي جبل عليه الإنسان.

سأعرض في هذا البحث إلى مجوعة من الفصول والمباحث التي أرجو أن أعالج من خلالها ما اشتمل عليه الكتاب من الملحوظات، وأبين فيه –قدر استطاعتي– ما يسجل له و ما يؤخذ عليه، وسيكون ذلك من خلال ما يأتي:

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف والكتاب.

وتحته مباحث:

المبحث الأول: ترجمة المؤلف.

المبحث الثاني: أبرز أعماله العلمية.

المبحث الثالث: محكمات شرعية قبل البدء.

المبحث الرابع: استعراض كتاب النص المؤسَّس.

الفصل الثاني: نقد الكتاب ونقضه.

وتحته مباحث:

المبحث الأول: نظرة عامة للجو الذي أُلِّف فيه الكتاب.

المبحث الثاني: الفكرة الرئيسية للكتاب.

المبحث الثالث: جذور الفكرة وأصولها .

المبحث الرابع: ملحوظات إجمالية منهجية وأسلوبية.

المبحث الخامس: نماذج من شبهاته حول القرآن والرد عليها.

المبحث السادس: نماذج من شبهاته التي تتعلق بالسيرة النبوية والرد عليها.

الخاتمة.

والله تعالى أسأل أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل هذا العمل حجة لي لا عليّ، وأن يتقبله منِّي إنه هو سبحانه جواد كريم، وهذا أوان الشروع في المقصود.

المبحث الأول: ترجمة المؤلف

***اسمه:**

خليل عبدالكريم، ولم تسعفني المصادر بشيء حول اسمه أكثر من هذا، وقد جاء في جريدة "الوطن العربي" زيادة: عبدالناصر[1].

***ولادته:**

لم أقف على من ذكر سنة وفاته؛ ولكن بالتقريب يمكن أن يقال إنه ولد سنة ١٣٤٩هـ تقريباً، وذلك أنه هلك سنة ٢٠٠٢م عن عمر يناهز الثالثة والسبعين، فيكون الزمن التقريبي لولادته هو ما ذكر.

***حياته :**

أنهى المؤلف دراسته في الفقه والشريعة الإسلامية في الأزهر، مطلع الخمسينيات الميلادية، وتحول بعدها إلى دراسة القانون حيث عمل محاميا[2]، وكان تخصصه قبل ذلك في التاريخ الإسلامي كما قال الكاتب "طلعت رضوان" [3] .

لقد كان من أبرز علامات الاضطراب والتذبذب في حياة "خليل عبدالكريم" ذلك التحول غير المبرر من أقصى اليمين –كما يقال- إلى أقصى الشمال، حيث "بدأ خليل عبدالكريم حياته في صفوف جماعة الإخوان المسلمين، ولكنه بدأ يبتعد تدريجياً عنهم، ويسلك طريقاً هو النقيض تماماً.

---

(١) من مقال بعنوان: "معارك الإسلاميين" في جريدة الوطن العربي.

(٢) من مقدمة النسخة الرقمية لكتاب النص المؤسس على الشبكة.

(٣) من مقال له بعنوان: "الفكر الأصولي، خليل عبدالكريم" في زاوية الأدب والنقد، العدد٢٠٣، يوليو٢٠٠٢م، على الشبكة العنكبوتية ، العنوان:
www.sonsofi.org/fundamentalism.html

لقد انتقل من صفوف الإسلاميين، وبدأ يقترب رويداً رويداً من الرؤية اليسارية، وقد كان من المؤسسين لمنبر اليسار عام ١٩٧٦م، قبل أن ينضم إلى حزب «التجمع الوطني التقدمي الوحدوي» حيث أصبح أحد قادته، وأحد مسئولي الاتجاه الديني فيه[٤]! .

*** وفاته:**

توفي خليل عبد الكريم في ٢٠٠٢/٤/١٤م عن عمر ناهز ٧٣ عاما في إحدى قرى أسوان، بعد أن قدم ثلاثة عشر كتاباً حاول أن يلوي فيها عنق النصوص ويصدم القارئ المسلم، زاعماً أن كتبه لا تُثير خلافا إلا مع المؤسسات الدينية والمتشددين!!

(٤) مقال للكاتبة الدكتورة سارة محمد حسين، في موقع : (لها أون لاين) بعنوان: " خليل عبد الكريم..السير في الطريق الخاطئ" .

المبحث الثاني: أبرز أعماله العلمية[٥]

كانت له مجموعة من المؤلفات تصل إلى ثلاثة عشر كتاباً، لم يخل كثير منها من استثارة للرأي العام، وجرح لمشاعر عموم المسلمين، ومن جملة هذه المؤلفات:

١-"الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية":

وهو من أوائل كتبه كما قالت الدكتورة سارة محمد حسين[٦]، حاول أن يربط فيه بين الشريعة الإسلامية وما كان سائداً في بلاد العرب قبل الإسلام، وكان مما قاله في هذا الكتاب: (إن هذه الشريعة التي ينادون بها هي مجرد تعاليم كان يقول ويأخذ بها عرب الجاهلية، ثم جاء "محمد" فأخذ هذه التعاليم، وأعمل فيها عقله وفكره حتى بدت وأنها شيء جديد..)، قال بعد ذلك: (هل تصلح هذه التعاليم التي كان يطبقها بدو الصحراء قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا لكي تحكمنا اليوم..).

٢- "الأسس الفكرية لليسار الإسلامي" :

(٥) هذا المبحث أكثره مستفاد من مقال للكاتب: بدر الشبيب، على الشبكة بعنوان: (سبعة كتب مشبوهة للمفكر اليساري خليل عبدالكريم)، على الموقع: .www.alkalema.us/takwin/karim.html

(٦) ينظر مقال: "خليل عبدالكريم السير في الطريق الخاطئ"، لسارة محمد حسين.

يقول الكاتب في هذا الكتاب: (إن الإسلام ليس شيئًا غير العبادات، ولهذا فإن ميدانه الأصلي هو المساجد، والجوامع، والتكايا، والحسينيات أو الخلاوى، والخانقاهات، والزوايا، والمصليات، وحضرات الصوفية، وحلقات الذكر، ومجالس دلائل الخيرات..)[٧].

٣- "مجتمع يثرب: العلاقة بين الرجل والمرأة في العهدين المحمدي والخليفى":

يتضح من عنوان الكتاب أنّ المؤلف يعالج مواضيع مرتبطة بأفضل المجتمعات التي مرَّت على البشرية جمعاء، وهي خير القرون، وعنه يقول الأستاذ بدر الشبيب: (وهذا كتاب معيبة لأنه يشوه الإسلام في أعظم عصوره، أي في مرحلة النبوة، وصدر الإسلام، والخلفاء الراشدين .. وسوف يلاحظ القارئ في اللحظة الأولى أن الكاتب يستخدم كلمة "يثرب" ولا يستخدم اسم " المدينة المنورة" علمًا بأن الاسم الأول قد نسخه الإسلام، وألغاه النبي ، وأطلق عليها هذا الاسم الجديد الجميل .. ولكن ليست هذه هي المشكلة في هذا الكتاب ولكن المشكلة هي في الدراسة الاجتماعية المزعومة التي قدمها والتي شوه بها ومن خلالها أعظم المجتمعات وأعظم العصور وأعظم الشخصيات حيث نكتشف أن المجتمع في مدينة رسول الله ، وهو المجتمع الذي أقام دولة، ونشر دينًا، هذا المجتمع ورجاله لم يكونوا مشغولين بشيء قدر انشغالهم بالمرأة والجنس معًا !)[٨].

٤- "شدو الربابة بأحوال الصحابة" :

---

(٧) ينظر مقال الأستاذ بدر الشبيب.

(٨) من مقال: (سبعة كتب مشبوهة للمفكر اليساري خليل عبدالكريم).

وهو كالكتاب السابق في المسائل التي عرض إليها، فهو استكمال لأفكاره وشرح لمعانيه.

٥- "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين" :

يقول بدر الشبيب عن هذا الكتاب: (ولعله من أخطرها جميعًا.. ويقوم هذا الكتاب على فكرة واحدة أساسية هي أن سيدنا محمد ليس نبياً ولكنه تلميذ عبقري لمجموعة من الأساتذة هم: السيدة خديجة، وابن عمها ورقة بن نوفل، وبقية أفراد الأسرة وهم: ميسرة، والراهب بحيرى، والراهب عداس، والبطرك عثمان بن الحويرث.. وكلهم مسيحيون.. ولقد قامت هذه المجموعة النصرانية على " صناعة" هذا النبي، بعد أن عكفوا على تعليمه لأكثر من خمسة عشر عامًا حفظ فيها كتب الأولين والآخرين، وعرف التوراة والإنجيل، والمذاهب والعقائد، وانتهى هذا كله بنجاح "التجربة" أي الرسالة، وصنع هذا العبقري الذي أصبح نبيا، ووضع كتاب خير العاملين على امتداد القرون هو القرآن الكريم)[٩]، وسوف تأتي إشارة إلى هذا الكتاب في أبواب النقد والنقض -إن شاء الله تعالى-.

إلى غيرها من الكتب التي ألفها والتي كان من أبرزها، هو كتاب: "النص المؤسس ومجتمعه" الذي هو مجال هذه الدراسة المتواضعة.

* الجامع الأزهر..وكتابات خليل عبدالكريم:

أصدر الأزهر قراراً بمنع كتاب "فترة التكوين" على خلفية التقرير الذي رفعه "مجمع البحوث الإسلامية" مطالباً بسحب الكتاب من الأسواق، وانتهى التقرير إلى التوصية بمصادرة الكتاب الذي يمثل عملاً عدوانياً على عقيدة الأمة

---

(٩) المصدر السابق.

الإسلامية، وينكر مبدأ الرسالات السماوية إنكاراً قاطعاً، ويزعم أن جميع الأنبياء صناعة أرضية بشرية، ومن الجدير بالذكر أن التوصية بالمصادرة صدرت بإجماع علماء مجمع البحوث.

وقد رفع الشيخ الدكتور عبدالعظيم المطعني –وهو أحد علماء الأزهر– تقريراً مفصلاً للرد على ما جاء في كتاب: "النص المؤسس ومجتمعه"، وقدمه لمجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر، وهو الجهة التي من حقها التوصية بمصادرة الكتاب أو منعه من التداول، وطالب ألّا يتهم أحد المؤلف بالكفر حتى لا يصبح بطلاً مضطهداً، فإنّ هذه هو غايته التي يطلبها[١٠].

(١٠) جريدة الوطن:
.www.alwatan.com.sa/daily/2002-02-09/culture/culture05.htm

المبحث الثالث: محكمات شرعية قبل البدء

لا بدَّ قبل الشروع في الرَّد المفصَّل على الكتاب من بيان بعض المسلَّمات الشرعية التي يحسن التأكيد عليها قبل الإمعان في البحث، وإلا كان النقاش بعد ذلك كالكتابة على الماء.

تلك المسلمات الشرعية التي لا يمكن تجاوزها ولا تعديها، والتي جاء القطع بها من جهة تواتر الأدلة وتظافرها عقلاً وشرعاً: نصاً وظاهراً وإشارة، من القرآن والسنة الصحيحة عن رسول اللهﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وهذه الأمور ماهي إلا عقائد راسخة في قلب كل مسلم، وعرف معنى الشهادتين ومقتضياتهما، وإنّ كتاب " النص المؤسس" لم يسلم من صور هتكٍ لتلك المسلمات الشرعية والمحكمات العقدية.

فمن تلك المحكمات:

١- أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من أنكر ذلك أو شك فيه فقد نص الأئمة على كفره[١١].

(١١) قال الإمام ابن عبد البر في التمهيد ٤/ ٢٧٨: (يحكي الإجماع قائلاً: وأجمع العلماء أن ما في مصحف عثمان وهو الذي بأيدي المسلمين اليوم في أقطار الأرض حيث كانوا، هو القرآن المحفوظ الذي لا يجوز لأحد أن يتجاوزه، ولا تحل الصلاة لمسلم إلا بما فيه)، قال: (وإنما حلّ مصحف عثمان رضي الله عنه هذا المحل، لإجماع الصحابة وسائر الأمة عليه، ولم يجمعوا على ما سواه)، قال: (ويبين لك أن من دفع شيئاً مما في مصحف عثمان كفر)، ويقول القاضي عياض في الشفا ٢/ ١١٠١: (اعلم أن من استخفّ بالقرآن، أو المصحف، أو بشيءٍ منه، أو سبّهما، أو جحده، أو حرفاً

٢- أن محمداً هو رسول الله حقاً وصدقاً؛ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، لا ينكر ذلك أو يشك فيه إلا كافر جاحد[١٢].

٣- أن أفضل القرون وأكرمها على الله تعالى هم القرن الذين بعث فيه النبيﷺ، كما قال ﷺ: (خير القرون قرني..)[١٣] والمراد بهم الصحابة كما قال النووي –رحمه الله-: (كل خير فيمن بعدهم فهو فيهم أكمل وأتم، وكل شر فيهم فهو فيمن بعدهم أعظم وأكثر، أثبت لهم النبيﷺ الخيرية المطلقة من كل وجه وفي كل باب) [١٤]، قال: (الصَّحِيحُ أَنَّ قَرْنَه ﷺ: الصَّحَابَةُ ، وَالثَّانِي : التَّابِعُونَ ، وَالثَّالِثُ : تَابِعُوهُمْ)[١٥].

٤- أن اليهود والنصارى كفار، وأنّ من مات منهم بعد بعثة النبيﷺ ولم يؤمن به فهو من أهل النار خالداً مخلداً فيها، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، كما قال ﷺ: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بما أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)[١٦]، وقد أكفرهم الله تعالى في القرآن الكريم في غير ما موضع، كقوله تعالى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن

منه أو آيةً، أو كذّب به، أو بشيءٍ منه، أو كذّب بشيءٍ مما صرح به فيه من حكم، أو خبر، أو أثبت ما نفاه، أو نفى ما أثبته على علمٍ منه بذلك، أو شك في شيءٍ من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماعٍ).

(١٢) هذا هو كفر الشك، وينظر في بيانه وذكر أمثلة عليه: مجموع الفتاوى ٢/ ٣٦٨ ، ١٢/ ٣٣٥ ، ومدارج السالكين ١/ ٣٣٨، ومراتب الإجماع ص ١٧٧، والشفا ٢/ ٦٤٦، وروضة الطالبين ١٠/ ٧٠ ، والضياء الشارق ص ٣٧٤ .

(١٣) أخرجه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(١٤) شرح النووي على مسلم الجزء ١٦/ ٨٤.

(١٥) المرجع السابق ١٦/ ٨٥.

(١٦) أخرجه مسلم ١/ ١٣٤/ ١٥٣، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

مريم)[17]، وقال: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة)[18]، وقال: (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً*وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله)[19]، وأن من شك في هؤلاء الذين هذا حالهم فهو كافر[20].

٥- أنه ليس لأحد أن يخرج عن ملة محمد ﷺ طرفة عين، وليس لأحد أن يجتهد اجتهاداً يخالف ما جاء عنه ﷺ، فمن فعل مع العلم والقصد كفر[21].

٦- أن الاجتهاد في الشريعة ليس حقاً لكل من نطق بالشهادة، وإنما هي مرتبة رفيعة في الفقه والعلم والدين، جعل لها أهل العلم شروطاً كثيرة لا تتوافر إلا في الواحد بعد الواحد، فلا بد لقبول الاجتهاد من توفر آلته بشرطه[22].

٧- أن النطق بالشهادة لا يكفي وحده في النجاة عند الله تعالى يوم القيامة، حتى يأتي بشرائطها التي دلَّت عليها الأدلة القاطعة، وأن من جاء بما يناقضها من قول أو فعل أو اعتقاد فقد كفر[23].

---

(١٧) سورة المائدة .

(١٨) سورة المائدة .

(١٩) سورة النساء .

(٢٠) انظر في كفر الشك مجموع فتاوى لشيخ الإسلام ٢/ ٣٦٨.

(٢١) قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٣/ ٤٢٢): " ومن فضل أحد من المشايخ على النبي – صلى الله عليه وسلم –، أو اعتقد أن أحداً يستغني عن طاعة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، استتيب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وكذلك من اعتقد أن أحداً من أولياء الله يكون مع محمد صلى الله عليه وسلم كما كان الخضر مع موسى عليه السلام فإنه يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه ".

(٢٢) انظر: الاجتهاد في الإسلام، د. نادية شريف العمري، ص ١٢١.

(٢٣) انظر: معارج القبول في شرح سلم الوصول ص ٥١٨.

نذكر هذه الحقائق الشرعية والثوابت العقدية، حتى تكون مباءةً يرجع إليها الناظر في كتاب "النص المؤسس"، فيبني من خلالها موقفه مما سيراه من أفكار الكتاب، ويغسل بمراجعتها دَرَنَ التشويشات التي ستلوّثِ نظره وعقله من جرّاء مطالعة فصول وأبواب الكتاب، وعلى الله نعتمد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المبحث الرابع: استعراض كتاب النص المؤسَّس

اسم الكتاب كما وضع على غلافه: (النص المؤسس ومجتمعه).

وقد صدر –في الطبعة التي حصلت عليها– عن: دار مصر المحروسة، في القاهرة عام ٢٠٠٢م، وقد جعل المؤلف كتابه هذا في مجلدتين من القطع المتوسط، سمى كل مجلدة منها: سِفْراً، وأخرجهما في (٦٦١) صفحة، مع أهمية ملاحظة أنّ الكتاب له نسخ إلكترونية، وبين بعضها شيء من الاختلاف بالزيادة والنقص والتعديل.

أما السفر الأول:

أ/ فقد قدمه بـ "**الإهداء**": وجعله لأصحابه الذين يوافقونه الرأي، وكان يظن أنهم سيقفون معه مؤيدين ومناصرين، عندما اشتد غضب الأوساط العلمية والإعلامية في مصر، بسبب إصداره لكتابه: "فترة التكوين في حياة سيد المرسلين"، وفوجىء بلزومهم الصمت تجاه ذلك، فهو من خلال هذا الإهداء: يستهيج هممهم للكلام ويستنطق أقلامهم للكتابة في الدفاع عن فكرته في هذا الكتاب، و يسخر من سكوتهم.

ب/ ثم عقد ما سماه بـ"**فرشة**": ويريد بها –كما قال هو فيما بعد– التمهيد السريع، وقد أجمل فيها مسألتين **هما**:

*التفريق بين القرآن المتلوّ المحفوظ في الصدور، والقرآن المكتوب في الصحف، وأطال في إثبات هذا المعنى والاستدلال له.

*النعي على من اقتصر في تفسير للقرآن على التفاسير المنقولة الأثرية وجال في حدودها، دون خروج – بحسب قوله – عن ذلك النمط إلى تأويل جديد

وتفسير حديث للقرآن الكريم، وفق معطيات العصر الاجتماعية والسياسية والعسكرية والحربية والتعليمية والفقهية..الخ.

ج/ ثم عقد ما سماه بـ"**مقدام**": ومراده بذلك مقدمة الكتاب، وتكلم فيها عن حكمة نزول القرآن الكريم منجماً في نظره، والفرق بينه وبين الكتب السابقة في هذا الباب، وأن القرآن الكريم قد أثر فيه مجتمعه غاية الأثر، فكان القرآن استجابة لحوادث عصره كأنما هو "**إيجاب وقبول**"[٢٤]!؛ فإذا حصلت الحادثة نزلت الآية.

وتحدث عن الصحابة الذين كانوا قريبين من النبيﷺ، وأنهم بحكم قربهم "**فطنوا إلى المرونة التي حايثت ظهور الآيات الكريمة، والأسباب والمناسبات التي واكبتها**"[٢٥] مما جعلهم –كما يقول الكاتب- ربما نطقوا بالكلام فلا يفجأهم الوحي وإلا وقد نزلت الآيات موافقة لقولهم الذي قالوه ربما بالنص – بحسب زعمه –.

وأشار لنزول الآيات مرضيةً لرسول اللهﷺ وموافقة لرغبته في القضايا العامة والخاصة، ثم أتبع ذلك بإشارات إلى هدفه في هذا الكتاب كما قال: "**وهذا الكتاب محاولة غير مسبوقة لرفع الستار وكشف الغطاء عن هذه الجوانب المبهرة في الذكر الحكيم**"[٢٦]، وهو يقصد كشف تأثر القرآن بأحداث عصره وأنه منتج تاريخي، وكشف تأثير رغبات رسول الله ﷺ فيه، وكذا رغبات الصحابة وعباراتهم، مما يدل على أنه منتج بشري لا رباني – بحدّ زعمه –.

د/ ثم عقد: "**الباب الأول**" وجعله بعنوان: "**آيات كريمة أشرقت تحقيقاً لرغبة القائد، وأخرى تلبيةً لرجاوات تَبَعِه**" كذا؛ وجعل تحته أربعة فصول؛ هي:-

---

(٢٤) النص المؤسس ١/ ٣١

(٢٥) النص المؤسس ١/ ٣١

(٢٦) النص المؤسس ١/ ٤١

١– الفصل الأول: "آيات أشرقت تحقيقاً لرغبة القائد".

وذكر تحت هذا الفصل أربعة عشر مثالاً، على آيات نزلت تلبية لرغبة رسول الله ﷺ، وهي أربعة عشر موقفاً من السيرة النبوية نزلت بشأنها آيات معينَّة، اختارها المؤلف ليؤكد على أنَّ القرآن الكريم دائماً يلبي حاجات النبيﷺ ويعطيه رغباته، وهي إشارة تشكيك خفية في مصدرية القرآن وربَّانيته، فكانت الأمثلة التي انتقاها على النحو التالي – كما جاء في نص الكتاب[٢٧] – :

(موادعة اليهود- صيام عاشوراء- لماذا يوم الجمعة؟- الصحيفة- بيت المقدس قبلة الصلاة -محمد[٢٨] وزيد وزينب بنت جحش[٢٩]- نكاح عائشة التيمية[٣٠]- تمرُّد نسوان النبي[٣١]- سرايا نبيِّ الرحمة[٣٢]- حكاية ماريا القبطية[٣٣]- حِلْف عائشة وحفصة[٣٤]- لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء- تزوجها وهو محرم- النبيُّ[٣٥] ينهى الصحابة عن كثرة الأسئلة) اهـ.

---

(٢٧) ليلحظ أن هذه التقاسيم غير ظاهرة بهذه العناوين في النسخة المطبوعة التي حصلت عليها من شيخنا الدكتور عادل الشدي وإنما هي معنونة كذلك في النسخة الرقمية التي اطلعت عليها من خلال الشبة العنكبوتية.

(٢٨) صلىٰ الله عليه وسلم تسليماً .

(٢٩) رضي الله عنهما وأرضاهما.

(٣٠) رضي الله عنها وعن أبيها وأرضاهما.

(٣١) صلىٰ الله عليه وسلم ورضي الله عنهن.

(٣٢) صلىٰ الله عليه وسلم.

(٣٣) رضي الله عنها وأضاها .

(٣٤) رضي الله عنهما.

(٣٥) صلىٰ الله عليه وسلم.

وأسوق الآن عبارته التي ختم بها فصله الأول ؛ لما فيها من الدلائل على مقصوده منه وهفه الذي يرمي إليه، فيقول: (وبهذه الواقعة نكتفي بضربِ أو تقديمِ الأمثلة التي توثّقُ بأنَّ هناك شطراً وسيعاً من الآيات الكريمة من القرآن الحكيم **طلعت** مشرقةً كأجمل ما يهلُّ الإشراق، متلألئةً كأحسن ما يبرق التلألؤ، و **أقبلت** وضيئةً كأبهى ما تتحقق الوضاءة: **تلبيةً لرغبة "المصطفى"**؛ إما عن تشوُّفٍ وإما عن توقعٍ وإما عن تربُّص..**وسرعان ما تُنَاصرُهُ وتُؤازِرُهُ أو تُنَافِحُ عنه**، وفي ذات الوقت تضع في حِجْر الفطن النَّقِهْ اللَّوذعي: الحجةَ الساطعةَ والبرهانَ القاطعَ والدليلَ الدامغَ على أنها = "الآيات" **وشيجةُ الصلة بالواقع** المعاش لا تفاصله، **وبالحياة البومية** لا تفارقها، **وبأنشطة الدائِبَيْنِ** "الليل والنهار" لا تباينهما، **وهو سرّ انبثاقها نجوماً متفرقة)** [٣٦] اهـ.

٢- الفصل الثاني: " آياتٌ ظهرتْ تلبيةً لرَجَاوَاتِ تَبَعِهِ ".

وذكر تحته عشرةَ أمثلةٍ مِن السيرة يدلِّل بها على أنَّ آياتِ القرآن الكريم ربما نزلت أيضاً تلبيةً لرغباتِ وتطلُّعاتِ بعضِ الأصحاب -رضي الله عنهم وأرضاهم-، وهي على النحو التالي -كما في نص الكتاب[٣٧]- :

(الظِّهار - تحريم الخمر- إرث النِّسوان- الرجل لعبته المرأة- القبلة المحيرة- شعائر الصفا والمروة- منع الصدقات عن المحتاج- قصة تحريم الربا- تحليل الزنا- النجاشي حبيبي) اهـ.

ثم ختم هذا الفصل -مبيناً قصده- بقوله: (تلك أمثلةٌ عشرةٌ على **انبثاق** آياتِ "القولِ/المحكم" للإجابةِ على تساؤلاتِ الصِّحاب، وللرَّدِّ على استفساراتهم،

---

(٣٦) النص المؤسس ١/ ١٥٦

(٣٧) كذلك هذه العناوين هي على نسخة الشبكة العنكبوتية.

ولإيضاحِ استبياناتهم، **ونعتقد أنَّ فيها غُنْيَة، ولها الصلاحيةُ الكاملة للقيام بدورِ البيِّنة، على الفَرْضِ أو الفروض التي طرحناها**، ومن ثَمَّ نكتفي بها، إذ توجد بجانبها العشرات، ونضعُ في الاعتبار أنَّنا لسنا بصدد إحصاءٍ أو استقصاءٍ، **وكلُّ ما يعنِينا أنْ يفطن القارئ إلى ما نَتَغَيَّاه، ويفْقَهَ ما نرمي إليه**، خاصَّة أنَّ الموضوع بكرٌ لم يسبق تناوله) [٣٨] اهـ.

٣- الفصل الثالث: " آياتٌ هلَّتْ موافقةً لعباراتٍ فَاهَ بها بعضُ الصحابة".

وأورد الكاتب تحت هذا الفصل موافقات الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم- للقرآن الكريم، وساق فيه موافقات عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وأفاض في النقل، حتى عدَّ له خمس موافقات.

وهو في أثناء ذلك يكثر من التساؤلات والاستشكالات التي تصل بالقارئ للتشكك في المصدرية الربَّانية للقرآن الكريم، مثل قوله: (فهل **انبِجاس** آيات كريمات من " البشرى / القرآن " مشاكلة للألفاظ التي يُدْلِي بها العدوّ أحد أسباب ورود الحديث سالف الإلماع؟)[٣٩]، ومراده بالحديث الذي ألمع إليه هو حديث: (لو كان بعدى نبيٌّ لكان عمر)[٤٠].

(٣٨) النص المؤسس ١/ ٢٢٠

(٣٩) النص المؤسس ١/ ٢٢٥

(٤٠) أخرجه الترمذي ٥/ ٦١٩/ ٣٦٨٦ وقال: (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مشرح بن عاهان)، و الحاكم في المستدرك٣/ ٩٢/ ٤٤٩٥ كلاهما من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ومن المضحك المبكي أن كاتب "النص المؤسس" خرج الحديث من كتاب الاستيعاب لابن عبد البر! .

وقال متسائلاً بمكر: (حاك في صدري شيء: إذ كيف يجرؤ هذا العدوىّ أن يجعل الله ذا القوة والجبروت مسابقه؟ وأنه أشد في دين الله من حجر؟ ألم يفطن إلى ما في لفظه من تجاوز وجنوح؟ أو لعله كانت تتنزل عليه الآيات ؟؟)[٤١].

وكقوله: (ولا أدرى بأي سند حكم هذا العدوىّ على الحمير بالكفر؟ وهل توجد حيوانات كوافر وأخرى مؤمنات؟)[٤٢]، وقال: (ينتصب اعتراضٌ أو دفعٌ بالغ الأهمية: إن التيميَّ عتيق بن أبي قحافة "أبا بكر" أطول منه صحبةً وأعمق منه ملازمةً، فلماذا لم يفعل فعله أو يصنع صنيعه؟)[٤٣].

ثم انتقل إلى موافقاتِ غيره من الصحابة؛ فذكر موافقاتِ: أبي طلحة وأبي أيوب –رضي الله عنهما وأرضاهما–.

ثم ختم هذا الفصل بقوله: (تلك أمثلةٌ على **بزوغ آيات** كريمات من القرآن إما موافقةً لجُمَلٍ تكلَّم بها أحدهم، أو اقتراحات طرحوها أو توقعوها لظروف أو أحوال **تَسْتَنْفِرُ هَلَّها**، وقد تجئ مرة باللفظ أو أخرى بالمعنى)[٤٤].

٤– الفصل الرابع: " الإيضاح والاستدراك والاستثناء" .

أورد الكاتب تحت هذا الفصل أمثلة خمسة، أوضح من خلالها –كما يرى هو– أنَّ آيات القرآن الكريم ربما نزلت على صورة معينة؛ ثم لظروف معينة أخرى –كسؤال أو استفسار– تتغير تلك الآية ذاتها بزيادة قيد أو شرط أو توضيح وشرح!.

(٤١) النص المؤسس ١/ ٢٢٧

(٤٢) المرجع السابق١/ ٢٢٨

(٤٣) المرجع السابق١/ ٢٣٠

(٤٤) المرجع السابق١/ ٢٤٣

وعنون لهذه الأمثلة الخمسة بنص العناوين التالية: (**ملاحظة عَبِيْطَة تُنْزِلُ آية– الجهاد والوعيد والجنات– استدراكات العدة– استدراك لوحشي قاتل حمزة– سمعنا وعصينا**) اهـ.

وكان من جملة النتائج التي أشار إليها –من خلال ذلك العرض– بعبارة رديئة غير مهذَّبة؛ قوله: (دلّت الزيادة والعلَّة التي **استنفرتها** على **المستوى الحضاري الخفيض لأول من خوطب بالقرآن العظيم**، ولو أنَّ الذين تلقَّوه على درجة ولو معقولة من الوعي لما استدعى الأمر **إهلال آية** جديدة توضح وتبين وتُسفر عن المقصود)[45].

وقوله بعد ذلك: (هذه الواقعة وأضرابها تزيدنا سندًا جديدًا يقوي ما أكدناه أنّ النصوص المقدسة **انبثقت من أحشاء مجتمع** بالغ الركود والتأخر، **وتفتحت أكاميمها في بيئة** شديدة التخلّف والتدني)[46].

ومثل قوله: (أليس مستغربًا في ذيَّاك المجتمع المدهش أن تُنْكَح طفلْة لم تبلغ العاشرة، وقد أخبرتنا كتب السيرة المحمدية التي هي أطيب ريحًا من نشر القطر، أنّ صاحب اللواء، مُتَمِّمَ مكارم الأخلاق، الذي النكاح من سنته، وهو في الخامسة والخمسين أو قريبًا منها دخل على التيمية عائشة ولم تبلغ الثامنة)[47] اهـ.

ثم يشير –مشككاً في حقيقة مصدر القرآن الكريم– إلى فائدة يخرج بها من هذا الفصل؛ فقال: (هذا الخبر التحفة يكشف لنا عن عدد الاستدراكات التي لحقت بشأن عدة المطلقة ومن توفى زوجها، وعن طريقة **بزوغها** وكيف

(٤٥) النص المؤسس ١/ ٢٤٩

(٤٦) المرجع السابق ١/ ٢٥٠

(٤٧) المرجع السابق ١/ ٢٥٧ الحاشية رقم ١٧.

أنها تلاحقت الواحدة إثر الأخرى وجماعها في مجلس واحد، إنّ هذا الأثر النفيس لم يتناوله ـ على حد علمنا ـ واحد من البُحّاث **فيما يسمى الوحي** وطريقة نزوله، إنه لشأن مُدهش بل مُحَيّر، إذ كيف تتابع الاستدراكات بهذه الهيئة وفي جلسة واحدة؟)[٤٨]، قال: (ولقارئنا العزير أن يتخيل ويطلق العنان لعقله ولبه ويحاول أن يجد إجابة تريح فؤاده)[٤٩].

وأما السفر الثاني:

فقد جعله على بابين؛ وأدرج تحت كل باب فصلين، فالباب الأول بعنوان: "**آيات التربية**"، وفيه فصلان على النحو التالي:

١- الفصل الأول: "التربية الخلقية".

وقد جاء في النسخة الرقمية على الشبكة مقدمة لهذا الفصل[٥٠] قال فيها: (هذا الفصل يشرح بالأسانيد من الحديث المحمدي وكتب التفسير العوالي **بعض العادات والممارسات المرزولة** [٥١] في مجتمع الصحابة، التي نزلت فيها آيات قرآنية، سنَّت فيها أحكام، فهل تصلح يا قارئنا العزيز هذه الأحكام أن تصير مصدرًا للتشريع في وقتنا وزماننا؟ إقرأ وفكر معنا) اهـ.

وقد أدرج الكاتب تحت هذا الفصل سبعة من العناوين الجانبية؛ وهي: (**محاربة الشحّ – أساليب متنوعة لكف الصحب عن الجبانة – إلجام التبَّاع عن**

(٤٨) النص المؤسس ١/ ٢٦٠-٢٦١

(٤٩) المرجع السابق إلا أنها عبارة زائدة من الشبكة العنكبوتية وليست في النسخة التي عندي من الكتاب.

(٥٠) هذه المقدمة غير موجودة في الطبعة التي بين يدي.

(٥١) كذا هي !.

الاندفاع نحو المتعة الحسية – تمقيت زواج الأم (الاعتبارية) وتبشيعة –كف الصحاب عن الحصول على الدخول الريعية المشبوهة – أخيراً أصبح نكاح المتعة حريمة –كتمان الشهادة جزاؤه الآثام) [٥٢].

وقد وضع بين هذه العناوين الكبيرة: عناوين داخلية صغيرة توضح بعض أفكار العنوان الكبير[٥٣]؛ وذلك مثل: (العدوي والفرار من الزحف – إدبار عثمان الأموي – من شابه أباه فما ظلم[٥٤] - والجري لصحابة آخرين – أسطرة[٥٥] وتقديس الصحابة – الزراعة والعلوج – صناديد قريش الديوث[٥٦]).

وهو في هذا الفصل –على وجه العموم- يريد أن يثبت أن الصحابة –رضي الله عنهم- كانت نفوسهم نفوساً تحتاج إلى كثير من التهذيب، قال: " تلك النفوس المركبة التي أخفت طقوس الدين الجديد وشعائره وترميزاته الطبقات الجوانية التي ترسبت فيها النشأة الأولى والمشاعر والأحاسيس بالدونية والسفولة التي راكمتها فيها أوضاعها الاجتماعية، مثل الرق والتبنّي والولاء والالتحاق والالتزاق والتحالف..الخ، تلك النفوس يتعين...ألا يدعها (الفصل/ القرآن الكريم) دون تقويم وبلا علاج وبغير تصحيح.."[٥٧].

٢– الفصل الثاني: "التربية العسكرية السياسية" .

---

(٥٢) جاء عنوان هذا الجزء على الشبكة: (هل يصلح الإسلام كشريعة الآن) ؟.

(٥٣) يلاحظ أن هذه العناوين الجانبية الصغيرة أيضاً ليست في النسخة التي بين يدي، وإنما نقلتها من النسخة الرقمية على الشبكة.

(٥٤) يعني أن عبدالله بن عمر فرَّ كما فر أبيه رضي الله عنهما وأرضاهما.

(٥٥) من الأسطورة وهو يريد جعل الصحابة ليسوا كالبشر بل كاملون كالأساطير.

(٥٦) جمع ديُّوث.

(٥٧) النص المؤسس ٢/ ١١١-١١٢.

فالتربية العسكرية جعل تحتها ثلاثة عناوين؛ هي: (حظر التقاعس عن الخروج للقتال – النهي عن الخيانة – الغريب الداخلي عقوبة التخلف بلا عذر) .

وأما التربية السياسية فقد أدرج فيها جملة من النصوص – أيضاً – تحت عناوين ثلاثة: (إيلاء النبي صلى الله عليه وسلم من أزواجه[٥٨] – امتثال أوامر القائد بركة ورخصة – وبالمقابل:الطاعة جزاؤها الرضوان ومثوبتها الفتح والمغانم الكثيرة) .

في كل تلك التقسيمات أراد الكاتب أن يثبت ما ذكره في أول هذا الباب، وهو معنى ما قاله هنا: (وهكذا في حلقات متوالية يأخذ آخرها بعقب أولها..تتوالى أدلة الثبوت على أن "النور/الهدى=القرآن" مع ذياك المجتمع..سيدهم وقائدهم وهاديهم لكل خير لا ينفصل عنهم، بل هو دائم اللحاظ لهم، مستمر المراعاة لهم، يعالج أدواءهم، ويشفيهم من أمراضهم، ويبرئهم من أسقامهم، إذا أثقلوا على "الشارع/ الشكور" تهادت منه آية مجيدة تهب بلسماً لهذا الجرح، فإذا لم يستطيعوا إنجازه –بغض النظر عن الكابح الذي لجم..– فلا تثريب عليهم، فهم الجند الخلَّص، والصحب الأوفياء والعسكر المطيعون، فقد غفر لهم ربهم، فليرتفع هذا التكلف، وتشرق آية حميدة أخرى بهذا الرفع، وتقول إن في الصلاة والزكاة جبراً لما تم التفريط فيه، وعوضاً عما جرى التقصير بشأنه..)[٥٩] اهـ.

(٥٨) هو لم يعنون هذه الفقرة بعنوان محدد، ولكن هذا هو موضوعها تقريباً، وفي الإجابة على تساؤل قد يرد وهو: ما علاقة هذا العنوان بالسياسة؟ والجواب كما يقول الكاتب: أن صحة القائد ومرضه وزواجه وظعنه وعدنه..كلها أمور من صميم السياسة بل من أخصها، ولا يصح إثارتها بين المواطنين اهـ.

(٥٩) النص المؤسس ٢/ ٢٢٩-٢٣٠

والباب الثاني كان بعنوان: " **آيات الحجاج مع أهل الكتاب**"، وفيه فصلان؛ هما:

١- الفصل الأول: "آيات الحجاج مع اليهود" .

وفيها أشار إلى بعض أخبار مسائلة أحبار اليهود للنبي ﷺ، وكان في أثناء ذلك يثير تساؤلات تشكيكية تؤكد الحقيقة التي يراها وهي: أنَّ القرآن صنع الواقع المعاش وليس ربَّاني المصدر، وأنّ ذلك من أهم أسباب نزوله منجماً مفرقاً، فبعد نقله ذهاب النبي ﷺ لبيت المِدْرَاس اليهودي؛ قال متسائلاً: (فهل هي المرة الأولى والأخيرة، أم أنه دأب عليه "=الذهاب"، أو فعل مرات قليلة؟)[٦٠].

وبعد أن ساق خبر الرد الجريء لليهودي "فنحاص" على النبيﷺ بعد غزوة بدر، وتهديده بأن لو لاقاهم في حرب لعلم أنهم هم الرجال، وذكره نزول قول الله تعالى تعقيباً: {قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف}، قال الكاتب هنا: (واليهود أهل الكتاب، و"العروة/ الوثقى=القرآن" دأب على خطابهم بـ "ياأهل الكتاب" فلماذا في هذه الآية تغيرت الصيغة وناداهم باعتبارهم كفرة؟ هل من باب أنّ لكل مقام مقال؟ أم هي نقطة البدء في طريق تغيير الموقف من أولاد يعقوب؟)[٦١].

٢-الفصل الثاني: "آيات الحجاج مع النصارى".

(٦٠) المرجع السابق ٢/ ٢٤٠

(٦١) المرجع السابق ٢/ ٢٥٦

وفيه أشار إلى الفرق بين اليهود والنصارى في موقفهم من الدين الإسلامي الجديد، وكيف أن النصارى لم يحاربوا رسول الله والمسلمين؛ لأن دينهم يحث على العفو والسماحة، ولأسباب أخرى ذكرها، ولذلك وصفهم القرآن بأنّ: (أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى)[٦٢]، وكأنه يشير بهذا إلى أنّ موقف القرآن من النصارى موقف مصلحي تحركه المواقف، مما يؤكد مصدريته البشرية، وليس موقفاً عقدياً ربانيّ المصدر.

ثم أشار لكون اختلاف النظرة لعيسى عليه السلام بين المسلمين والنصارى أدى لحصول النزاع بينهم، واحتل ذاك النزاع مساحة كبيرة من القرآن الكريم – حسب الكاتب–.

وأطال في النقل عند كلامه على قصة وفد نجرا، وما دار بينهم وبين النبي ﷺ من النقاش والمسائل، ومنها خلص إلى التأكيد على كون القرآن الكريم لا يمكن أن يفصل عن سياقه التاريخي الذي يفهم من خلاله، فهو بكل بساطة: نتاج واقع.

هـ/ ثم عقد ما سماه بـ"**ختام**"، وهي الخاتمة لهذا الكتاب، وفيها أكد على تاريخية النص القرآني، وأن الفقهاء يؤيدون هذه الفكرة من جانب آخر — لم يشعروا به – وهو قولهم بالحِكَم التشريعية، و التي هي اعتراف ضمني بتاريخية النص القرآني — حسب فهمه –، وأن القرآن تحول من قرآن محفوظ في الصدور"طازج"[٦٣] إلى مصحف محفوظ في كتاب مقدس في زمن عثمان رضي الله عنه.

---

(٦٢) سورة المائدة

(٦٣) كذا.

وأن القرآن قد اشتمل على قضايا كثيرة وأخبار وردت ذاتها في الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل، و ورد فيه كذلك قصص للأنبياء، وأن الآيات في هذين الموضوعين نزلت دفعة واحدة، لعدم الحاجة فيها إلى التفريق والتنجيم، وهذه إشارة لكون المضمون جاهز في كتب الأولين فلا يحتاج لتريّث ولا تنجيم، وإنما ينقل للقرآن الكريم فقط – حسب إشارته –، والله حسيبه ومجازيه.

هذا كله –عنده– يدل على أن الآيات التي يتحدث عنها في هذا الكتاب، وهي الآيات ذات الأسباب، جاءت مفرقة حسب الوقائع والأحداث للحاجة الماسة إلى تفريقها حتى تحايث الوقائع، وتعين النبي ﷺ وأصحابة رضي الله عنهم في التخلص من المزالق والمشاكل، هكذا.

الفصل الثاني:
النقد والنقض

المبحث الأول:
نظرة عامة للجو الذي أُلِّف فيه الكتاب

هذا الكتاب الذي بين أيدينا من خلال نظرة عامة إليه قد وضعه مؤلفه بعد كتابه: "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين"؛ كما يظهر من خلال الإهداء في أوله، وهذا يعني أنه جاء بانياً على الأفكار التي قررها المؤلف في كتابه الأول-وفي كتبه الأخرى التي قبله-، ويأتي في الجو الذي خلفه الكتاب الأول سواء في الساحة العامة أو في الساحات الثقافية والعلمية؛ أو حتى في نفسية الكاتب.

وهذا هو الذي يترجم تلك العبارات التي صدر بها المؤلف هذا الكتاب والتي تدل على نفسية مشحونة، وقلم ذي نفس حاد مغامر؛ وكأنه قد عزم على خوض شيء مخوف يترقب في إثره ضجيجاً وصخباً واسعاً حيث قال: (إلى أحبابي الذين التزموا الصمت المطبق، عندما انفجرت براكين الغضب على"فترة التكوين"، أمنحهم فرصة أخرى ليكرروا الموقف ذاته، لأن السكوت حسب منهجهم الجديد من ذهب، ولكنه ذهب مع الريح وهيهات أن يعود)[٦٤].

وذلك أن هذا الكتاب "فترة التكوين" كان قد أثار غضباً عارماً في الأوساط المصرية على وجه الخصوص، لما اشتمل عليه من أفكار جريئة عن الإسلام، وعن القرآن، وعن النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته في أول الدعوة بكل ما فيها من أحداث، حيث قال في مقدمة ذلك الكتاب: (وهذا الكتاب يقدم رؤية جديدة نزعم أنها غير مسبوقة لحل هذا اللغز الذى ملأ الدنيا وشغل الناس، وقد

(٦٤) النص المؤسس، أول صفحة من السفر الأول .

بدأنا بمحمد[٦٥] قبل أن يلتقي أبوه بأمه، حتى التقطته سيدة قريش[٦٦] بعد أن توسمت فيه ، بفراسة يعز مثلها ، أنه هو القادم المنتظر، ثم قيامها بمعونة سخية من ابن عمها القس بدور لا نجد له في تاريخ الأديان مجرد شبيه، أنها ملحمة خالدة سلخت من عمر الطاهرة والقس[٦٧] عقدًا ونصف العقد من الزمان في الإعداد والتصنيع والتهيئة والتأهيل حتى طرح ذلك العمل الصبور الدءوب المتأني المخطط والمرسوم بدقة متناهية ثمرته الناجحة، وحدثت واقعة غار حراء بصورة فذة معجبة أدهشت حتى فاعليها وهما سيدة نساء قريش، وورقة بن نوفل، لأنها جاءت بصورة لم تخطر لهما على بال، ولا شك أن هذا النجاح يؤوب بنسبة كبيرة إلى موضوع التجربة وهو "محمد[٦٨]" فقد كان عبقريًا لا يفرى فرية أحد، ذلك أن سيرته الذاتية وخبراته الشخصية وملكاته العقلية والنفسية واللسانية كانت ركائز أساسية في فلاح التجربة)[٦٩] آه.

ومما يذكر هنا أن الاسم الأصلي لكتاب "فترة التكوين" الذي أراد مؤلفه أن يسميه به هو: "تصنيع نبي"، ولكن الناشر وهي دار ميريت رفضت الاسم خشية الناس، واتفقوا بعد ذلك على تسميته بالاسم الذي خرج به[٧٠].

---

(٦٥) كذا، صلى الله عليه وسلم.

(٦٦) يريد بها : أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

(٦٧) يريد به: ورقة بن نوفل رصي الله عنه.

(٦٨) صلى الله عليه وسلم .

(٦٩) مقتطفات من كتاب: "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين" عن طريق الشبكة العنكبوتية على الموقع: www.alkalema.us/takwin/takwin.htm .

(٧٠) من تحقيق صحفي كتبه الكاتب: محمد عبدالخالق، بعنوان: "مزاعم صناعة الأنبياء التي أغضبت المشايخ: قرار المنع لم ينه الأزمة حول الكتاب"، وهو على الشبكة في العنوان التالي: www.alkalema.us/takwin/karim.html .

ثم يجيء هذا الكتاب: "النص المؤسس" ليشرح فكرة من هذه الأفكار التي عرض لها في "فترة التكوين"، ولكنه هذه المرة: شرح بأدلة هي في نظره أدلة قوية دامغة -مستقاة من الكتب التراثية كما يحلو له أن يسميها-، توضح مصدر القرآن ومنشأه، وأموراً أخرى كثيرة مرتبطة به كما سيجيء تفصيله -إن شاء الله تعالى- .

المبحث الثاني: الفكرة الرئيسية للكتاب

يهدف المؤلف من هذا الكتاب إلى تقرير حقيقة يراها؛ وهذه الحقيقة مبنية على مقدمتين؛ هما: أن القرآن الكريم نصٌّ (تاريخيٌّ / وجدليٌّ).

ومعنى كونه نصّاً تاريخياً[٧١]: أنه نص بَزَغَ وخَرَجَ –كما يعبِّر المؤلف – في زمن معين، ووسط بيئة محددة، وفي ظروف حضارية وبيئية واقتصادية وثقافية معينة، ولأجل ذلك: لا يمكن أن تنزع الأحكام القرآنية و الإسلامية عموماً من تلك الخلفية الاجتماعية المحيطة بالقرآن –أول نزوله– لكي تطبق في بيئات مختلفة؛ ذات ظروف حضارية وثقافية واقتصادية مختلفة أيضاً.

ولأجل ذلك المعنى فالقرآن الكريم العبرة في نصوصه بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، وعليه فلا تصلح الشريعة الإسلامية للتطبيق في هذا العصر ووسط هذه الظروف.

ومعنى كونه نصّاً جدلياً[٧٢]: أي أنه نصٌّ جاء نتاجاً لأحداث ووقائع محيطة بالنبيﷺ وبأصحابه، استلزمت وضع القرآن وتأليفه، فخرج القرآن بوصفه عملاً أدبياً بإسهامٍ إنسانيّ يمثل أرقى إنتاج إنساني متطور عبر العصور، لأنه لم يُؤَلَّف

---

(٧١) ينظر: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٦م.

(٧٢) اَلْمَادِّيَّةُ الجدَلِيَّةُ: فَلْسَفَةٌ اِقْتَرَنَتْ بِمَنْهَجِ هِيجل المِثَالِيِّ وَمَقُولاَتِ كَارْل مَارْكِس الَّتِي عُرِفَتْ بِالْمَادِّيَّةِ الجَدَلِيَّةِ (الدّياليكتيك)،وَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ العَالَمَ مُكَوَّنٌ مِنْ مَادَّةٍ مُتَحَرِّكَةٍ وَهِيَ فِي تَطَوُّرٍ وَتَجَدُّدٍ، ويمكن الاستفادة من هذه المادة في موقع الموسوعة الحرة:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D8%A9_%D8%AC%D8%AF%D9%84%D9%8A%D8%A9

دفعة واحدة أو بقلم واحد، بل مرَّ بمراحل تطور تاريخية وأدبية يمكن رصدها وتحليلها.

وكان اعتماده في تلك النظرة على علم أسباب النزول للآيات القرآنية، حيث جعلها منطلقاً لإثبات تلك الفكرة.

ومن هنا جاء التأكيد – عند المؤلف – على أن القرآن الكريم لم ينزل مثل التوراة والإنجيل دفعة واحدة، وإنما نزل منجماً على مدى ثلاث وعشرين سنة؛ وأيضاً هو لم يكتب خلال تلك الفترة ولا خلال العصور الراشدية بعده مما يعني أنه كان طازجاً أبوابه مفتوحة للتغيير.. ثم كتب بعد ذلك في عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه، فتحول من نص محفوظ طازج – كما يعبِّر المؤلف – إلى كتاب مقدس.

وهذا الفكرة كلها تشتمل على سلسلة من المجازفات التاريخية والعلمية الكبيرة؛ التي سيأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى عند الرد التفصيلي، ولكن يرد هنا سؤال مهم لا بد من الإجابة عليه قبل الانتقال إلى ما بعده:

ما الذي دعا المؤلف وأضرابه إلى هذه المآزق العلمية والمنهجية التي أوقعوا أنفسهم فيها ولم يجدوا منها مخرجاً، ولا عنها محيداً ولا مخلصاً؟

مقدمة واحدة قامت في أذهانهم؛ دعتهم إلى تقحُّم مزالق كبيرة؛ للبحث عما يؤيد تلك المقدمة؛ وهي: أن القرآن الكريم ليس من عند الله تبارك وتعالى.

(وتتوالى سلسلة الفساد التي بدأت من تلك المقدمة الفاسدة المتعسّفة؛ لتضرب كل قاعدة اتخذوها أساساً لنقدهم، فقد ألزمهم نفي كون القرآن كلام الله؛ اتباع ما يلي:

(١) الشك في الراوي: محمدﷺ ، الذي يؤكد أن القرآن وحي أوحي إليه من الله تعالى وما دام الأمر ليس كذلك –كما يقرره المنهج وكما يزعمون–

فلابد من اختلاق الأكاذيب حول سيرته وأخلاقه وغايته، وجمع كل المفتريات في القديم والحديث وحشدها للقدح في ذلك كله، وبذر بذور الشك في نبوته صلى الله عليه وسلم.

(٢) طالما أن النص من صنع بشر – كما يزعمون – فلابد من حصره في حدود الطاقات والتصورات البشرية، وما يخرج فيه عن دائرة قدرة العقل البشري والمدركات الحسية يدخل في نطاق الأسطورة ويصبح من حق الباحث – اعتماداً على عقله وحواسه وعلى أصول المنطق والمعرفة المتراكمة التاريخية والعلمية – أن يرفض أي حقائق تتجاوز الواقع المادي المحسوس، كالغيبيات والعقائد، ويبدو كل ما يتجاوز الواقع المادي خرافة غير قابلة للتصديق. وهذا يعني الطعن في ما ورد بالقرآن من غيب كالمسائل: الألوهية والوحي والملائكة واليوم الآخر والجنة والنار، وما يخرج عن نطاق التاريخ الإنساني المدون..إلخ.

(٣) محاولة إبراز أثر البيئة والزعم بتأثير ما راج بين العرب قبل عصر النبوة من مقولات يهودية ونصرانية ووثنية على النص والتدليل على ذلك بأكاذيب شتى واضحة البطلان..والتماس المشابهات بين ما ورد بالنص القرآني وكل من التوراة والإنجيل من ألفاظ وقصص. وحين يعييهم البحث عن أي تشابه في الألفاظ يشتطون في الكذب والاختلاق، أما القصص فحين انتابهم اليأس من العثور على أصول لقصص عاد وثمود في العهد القديم شك بعضهم في هذه الأقوام أصلاً، بينما ردّها آخرون إلى أثر المرويات الشفوية التي كانت رائجة في البيئة العربية قبل عصر النبوة، ولا دليل لهم عليه.

(٤) النظر إلى الآيات الشريفة بحسبانها مرتبطة بزمان معين ومشدودة الوثاق بظروف البيئة والعصر الذي نزلت فيه، لا باعتبارها أحكاماً نهائية مطلقة

خارجة عن إسار الزمان والمكان قد اكتسبت صفة الديمومة والخلود..وقد أدت بهم هذه النظرة إلى الفشل الذريع الذي منيت به محاولاتهم المتكررة لتقييد النص القرآني بقيود تاريخية وترتيبه حسب الزمان.

(٥) التحوّط من كل الروايات التي قالها المسلمون والأحكام التي استخلصها علماؤهم، والقدح فيها باعتبارها أقوالاً وأحكاماً منحازة غير محايدة في الموضوع فضلاً عن أنه لا دليل عقلياً عليها، وإنما يقتصر منها على أجزاء ما بها[٧٣] من أقوال وأحكام تسند ما يذهبون إليه حتى ولو كانت ظاهرة البطلان، ولكن يعتدّ بها لأنها إنما صدرت عن المؤمنين بالقرآن أنفسهم ومؤيّديه.

(٦) وطالما أنه نص من صنع بشر –كما يزعمون – والبشر لابد له أن يستقي أفكاره وتصوراته من مصادر بعينها، فإنه لابد من رد هذه التصورات التي أطلقوا عليها " غرائب تثير الدهشة" و " أساطير" مما ليس له وجود في التوراة والإنجيل والبيئة العربية قبل نزول القرآن إلى روايات من قصص تقليدية توجد في ثقافات الشرق الأدنى، وقد عدّلت لتتطابق مع النظرة العالمية وتعاليم القرآن.

ويضربون لذلك أمثلة لا يمكن -إن لم يكن مستحيلاً- التأكد بأن لها أصولاً في ثقافات الشرق القديم، لأن البحث في تلك الثقافات لم يرق إلى درجة اليقين بما كانت تشتمل عليه من تصورات وأفكار.

(٧) وإذا ورد في النص القرآني ما يثبت العلم الحديث حقيقة وقوعه ويقع في دائرة المعطيات الحسية لابد من المبادرة إلى التشكيك فيه حتى لا يترك للقارئ – أو حتى للباحث المبتدئ – مجرد فرصة التفكير في تطابق

(٧٣) كذا هي في المصدر ولعل الصواب أن يقال: مما اشتملت عليه من أقوال.. الخ.

الحقائق العلمية مع ما ورد بالقرآن الكريم، مما يجعله مختلفاً عن التوراة في هذا المجال)[٧٤].

وهذه الإجراءات غير العلمية هي بالضبط ما سلكه أمثال "خليل عبدالكريم" من خلال كتبه المنشورة، ومن خلال هذا الكتاب على وجه الخصوص، كما سيتضح في المباحث القادمة -إن شاء الله تعالى-.

(٧٤) بتصرف يسير من كتاب: الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية، المؤلف: د.محمد السعيد جمال الدين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ص١٨-٢٢.

المبحث الثالث: جذور هذه الفكرة وأصولها

لم يكن الكاتب صاحب فكرة جديدة –كما أحب هو أن يصور–، ولم يكن ما طرحه من أفكار وليدَ دراسة واختبارٍ وتنقيرٍ بين بطون الكتب كما حاول المؤلف إظهاره، ولكنَّ تلك الأطروحات في جملتها أطروحاتٌ سُبِقَ الكاتب فيها من أناس كثير ممن ينتسب إلى الإسلام، وممن هم خارج دائرته من المستشرقين.

ويمكن أن نعيد أطروحات "خليل عبدالكريم" إلى مصدرين اثنين، مِنْ آسِنِ نبعهِما كَرَعَ وشَرِبَ؛ هما:

أ– **المستشرقون**: الذين طوروا منهج نقد النصوص، لنقد ما يسمّى الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) وكتبٌ أخرى تلحق بهما[٧٥]؛ وكان النقد المنهجي للكتاب المقدس قد حقق منذ القرن التاسع عشر حتى وقت قريب نتائج باهرة في نقد العهد القديم (التوراة وكتب أخرى ملحقة بها) بخاصة، مما جعل المستشرقين يظنون أن بوسعهم –إن عمدوا إلى تطبيق قواعد هذا النقد على القرآن الكريم– أن يتوصلوا إلى نتائج مماثلة.

ومن ثم استندت دراساتهم للكتاب العزيز على تلك القواعد منذ منتصف القرن التاسع عشر، وكان نقاد ما يسمى بالكتاب المقدس من العلماء الألمان بخاصة والأوربيين بعامة؛ قد اعتمدوا في نقدهم للعهد القديم على منهج نقدي أسموه "النقد الأعلى"، والذي يهدف إلى دراسة نصوص ذلك العهد على أنها نصوص

(٧٥) مدرسة النقد التاريخي في الغرب التي أسسها الكاثوليكي ريتشارد سيمون بكتابه « التاريخ النقدي للعهد القديم » عام ١٦٧٨م ، كما أشار إليه د. عبد الراضي محمد عبد المحسن في كتابه الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

تاريخية على الباحث أن يطبق عليها كل المعايير التي يطبقها على أية نصوص تاريخية أخرى، بصرف النظر عن كونها نصوص مقدسة.

وقد تبين لهؤلاء العلماء أخيراً، وبعد جهد مضنٍ، أن تلك الأسفار مكتوبة بأقلام اليهود، وتظهر فيها الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل.

وطبّق العلماء المنهج نفسه في دراستهم للأناجيل الأربعة (العهد الجديد) وأضافوا بعداً آخر لابد من الرجوع إليه لتفسير جوانب كثيرة غامضة في النصرانية، وهو: الديانات الوثنية، في كل من: بابل ومصر وفارس وآسيا الصغرى وسوريا واليونان والهند.

وكانت أول محاولة لتطبيق قواعد النقد هذه على القرآن الكريم هي ما قام به المستشرقون في شأن ترتيبه حسب النزول.

وقد توسع المستشرق الألماني (تيودور نولدكه)[٧٦] في دراسة النص القرآني لترتيبه زمانياً حسب نزوله، وقد أدرك عدد من كبار المستشرقين عدم جدوى تطبيق قواعد النقد الأعلى والأدنى على النص القرآني..مثل: المستشرق الإنجليزي

---

(٧٦) ثيودور نولدكه Theodor Noldeke (١٨٣٦-١٩٣٠)، ولد في هامبرج في ٢مارس ١٨٣٦ودرس فيها اللغة العربية ودرس في جامعة ليبزيج وفينا وليدن وبرلين . عيّن أستاذاً للغات الإسلامية والتاريخ الإسلامي في جامعة توبنجن، وعمل أيضاً في جامعة ستراستبرج. اهتم بالشعر الجاهلي وبقواعد اللغة العربية وأصدر كتاباً بعنوان (مختارات من الشعر العربي) من أهم مؤلفاته كتابه (تاريخ القرآن) نشره عام ١٨٦٠ وهو رسالته للدكتوراه وفيه تناول ترتيب سور القرآن الكريم وحاول أن يجعل لها ترتيباً ابتدعه. ذكر عبد الرحمن بدوي أن نولدكه يعد شيخ المستشرقين الألمان، انظر: كتاب الاستشراق (ص: ٣٨)، للدكتور مازن مطبقاني.

(آربري)[٧٧] في مقدمته لترجمة القرآن الإنجليزية[٧٨]، ومثل: المستشرق السويدي"تور أندريه"[٧٩]، صاحب كتاب: "محمد: حياته وعقيدته".

وكان من أشهر المستشرقين أصحاب دراسات "النقد التاريخي" للنصوص، والذين من دراساتهم استقى "خليل عبدالكريم" طريقته في دراساته —إن صح تسميتها دراسات– الأسماء التالية:-

١–ريتشارد سيمون.

٢– ثيودور نولدكه.

٣– فلهاوزن [٨٠] .

---

(٧٧) آرثر جون آربري Arthur John Arberry (١٩٠٥-١٩٦٩)، ولد في ١٢مايو ١٩٠٥في مدينة بورتسموث بجنوب بريطانيا، التحق بجامعة كامبريدج لدراسة اللغات الكلاسيكية اللاتينية واليونانية. وشجعه أحد أساتذته (منس) علىٰ دراسة العربية والفارسية. ارتحل إلىٰ مصر لمواصلة دراسته للغة العربية، عاد إلىٰ مصر ليعمل في كلية الآداب رئيساً لقسم الدراسات القديمة (اليونانية واللاتينية) وزار فلسطين وسوريا ولبنان، واهتم بالأدب العربي فترجم مسرحية مجنون ليلي لأحمد شوقي كما حقق كتاب (التعرف إلىٰ أهل التصوف.)واصل اهتمامه بالتصوف وذلك بنشره كتاب (المواقف والمخاطبات) للنفري وترجمه إلىٰ الإنجليزية، انظر: الاستشراق (ص: ٣٥) للدكتور مازن مطبقاني.

(٧٨) الطبعة الأولىٰ، ١٩٥٥م، انظر: أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، طبع مصر ١٩٨٠م ، ص ١٧٣ – ١٧٤.

(٧٩) تور أندريه (١٣٠٢ – ١٣٦٦ هـ/ ١٨٨٥ – ١٩٤٧ م)، وهو مستشرق سويدي، سمي أستاذا للعلوم الدينية في جامعة ستوكهلم، من آثاره «النصرانية: الدين الكامل ؟»، و«أنا أؤمن بالله»، انظر ترجمته في الموسوعة الحرة:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%88%D8%B1_%D8%A3%D9%86%D8%AF%D8%B1%D9%8A%D9%87

(٨٠) ينظر: الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم، إعـــداد د. محمد بن سعيد السرحاني، ص (١١-١٦).

ب – **الفكر الماركسي**: إن المؤلف تأثر في دراسته هذه بالفكر الماركسي، الذي يقول إن الأديان من صنع البشر أنفسهم، وليس وراء ذلك ربٌّ يعبد؛ فـ"من هنا كان لابد للماركسيين وتلامذتهم من الملاحدة من إثبات ذلك على الأديان جميعها، بكل سبيل، صح أم لم يصح، وبدون ذلك لن تستطيع تفسير كثير من مقولات خليل عبدالكريم المضحكة، لأن رد جميع مقولاته إلى الإلحاد العام لا يكفي، بل لا بد لك من تلمس آثار ماركس بين ألفاظ خليل عبدالكريم، مثال ذلك: بغضه للعرب، متمثلاً في بغض الصحابة رضى الله عنهم، ولو رددت ذلك الكمد والغيظ لديه إلى مجرد الإلحاد لما كان ذلك سبباً كافياً، ولما أنصفت الرجل، بل لا بد لك من التعرف على أحد معالم الفكر المادي، صاحب دعوى الجدلية التاريخية.

وذلك أنهم يعتبرون الزراعة هي الأصل، والمزارعين طيبي النية، أما الرعاة فهم متوحشون همجيون، يريدون التسلط والتملك لأدوات الإنتاج، وما ذاك لشيء إلا لأن هؤلاء رعاة وأولئك مزارعون، ثم إنهم يصنفون الصحابة في بند الرعاة ولا بد، وأقباط مصر في بند المزارعين ولا بد، وقد عدى الرعاة –المتوحشون طبعاً– على المزارعين –طيبي النية كما تتوقع– وتعدَّوا على أراضيهم !"[٨١] اهـ.

(٨١) مقتبس بتصرف من مقال في الرد على النص المؤسس لكاتب رمز لنفسه بـ(متعلم) على الشبكة: http://www.ebnmaryam.com/vb/t9730.html

المبحث الرابع:
ملحوظات إجمالية منهجية وأسلوبية

يتسم هذا الكتاب بجملة من السمات التي نأت به عن مصافّ الكتابات العلمية المنهجية، فهو يفتقد لأوليات المنهج العلمي من ترتيب متسلسل لفصوله وأبوابه، ولحسن سوق الأدلة وإحالتها بطريقة منهجية لمصادرها، وللاستقامة في الاستنباط والبناء الصحيح للنتائج على مقدماتها..الخ، وتنعدم فيه أبجديات شروط المفسِّر للقرآن الكريم من العلم المتماسك بالنحو وبلغة العرب، وبالسنة النبوية والآثار السلفية، وتمييز ثابتها من ساقطها، والعلم بأصول الفقه وضوابط الفهم..الخ.

ويمكن عرض بعض المؤاخذات العلمية على هذا الكتاب بشكل إجمالي فيما يلي:-

١- إهمال الكاتب لاستخدام الأسماء الشرعية، ومحاولة استبدال التسميات ذات الدلالات الشرعية بتسميات من وضع الكاتب واصطناعه، وهذا أمثلته كثيرة؛ منها على سبيل المثال:

(النازحون=المهاجرون)، (بنو سخينة=الصحابة وغيرهم من قريش)، (بنو قيلة=الأوس والخزرج)، (اليثاربة=الأنصار)، (البطاركة=الأنبياء عليهم السلام)،

(التيمي=أبوبكر الصديق)، (العدوي=عمر بن الخطاب)، (الغزو الاستيطاني النهبوي[82]=الجهاد في سبيل الله تعالى)، (الكَتَبَة[83]=أهل الحديث)، (الصحف[84]= القرآن الكريم)، (العربان[85]=العرب)، (يثرب[86]=مدينة رسول اللهﷺ)، (قرية التقديس=مكة)، (هيئة المبشرين بالجنة[87]=العشرة المبشرين بالجنة)، (الاستدراك[88]= النسخ)..الخ؛ مما لا يحصر.

٢- اشتمل الكتاب على جملة من الملاحظات المنهجية التي تدل على تنكبه عن سلوك مناهج التأليف المصطلح عليها، وضعف البنية الفنية لترتيب الكتاب؛ فمن ذلك على السبيل المثال:-

أ/ عدم التزام منهج معين في وضع الحواشي والتعقيبات؛ فمرة يذكر المرجع في حاشية الصفحة، وربما جعل المرجع في صلب متن الكتاب[89].

ب/ الكتاب يكاد يكون خالياً تماماً من علامات الترقيم، والمواضع التي كتبت فيها علامات الترقيم كان جزءٌ كثير منها مخالفاً لقواعد الترقيم[90].

---

(٨٢) النص المؤسس١/ ٩٦.

(٨٣) المرجع السابق ١/ ١١٧

(٨٤) المرجع السابق ١/ ١٣١

(٨٥) المرجع السابق١/ ١٩٩

(٨٦) المرجع السابق١/ ٢٦٠

(٨٧) المرجع السابق ١/ ٢٧٠

(٨٨) المرجع السابق ١/ ٢٧٢

(٨٩) انظر على سبيل المثال كيف أدرج الحاشية في صلب المتن في ١/ ١٠، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٠، وهذه مجرد نماذج لا يقصد بها الحصر.

ج/ جعلت أبواب السفر الثاني غير مبنية على السفر الأول؛ ففي الحين الذي نرى فيه (الباب الأول) في السفر الأول، نجد -كذلك- في السفر الثاني تبوبياً جديداً يبدأ من (الباب الأول) مرة أخرى!.

د/ توثيقه المعلومات ونقلها من حواشي الكتب، مع كون هذه الكتب التي نقل عنها بواسطة متوفرة والحصول عليها ميسور[٩١].

وكذا فإنه ينقل من حواشي الكتب تقيم محققيها لكتب تراثية أخرى متاحة، والدراسات حولها وافرة، يقول مثلا: (يصف المحققان " سيرة ابن إسحق" بالآتي:

أعظم الكتب التي عنيت بسيرة أعظم العظماء ﷺ ومن أقدم كتب السيرة الجامعة وأهمها..ومن أوائل أمهات المراجع وأهمها في السيرة النبوية العطرة..وأبرز المحققان المكانة العلمية السامقة لابن إسحق)[٩٢].

وربما نقل من الحواشي توثيق الرجال والكلام في جرحهم وتعديلهم، فيقول مثلاً: (وقد قال محقق الكتاب عنه: أما عن كلام علماء الجرح والتعديل عن ابن حبيب وحكمهم على تلقى العلوم عنه من ناحية القبول أو الرد أو التوقف فيها فقد قال جماعة إنه ثقة حافظ، وقال آخرون إنه صدوق وهي درجة تجعلنا نطمئن لما

---

(٩٠) مثل تكثيف الأقواس ، وأيضاً توالي الأقواس بشكل مزعج كما في ١/ ٣٢، فيجي قوس معقوف ثم شرطتان، ثم قوس معقوف ثم شرطتان! وليس هناك ضابط يحدد متى يستعمل هذا النوع من الأقواس دون غيره، ومتى يستبدل بنوع من الأقواس آخر.

(٩١) النص المؤسس ١/ ٥٦،٥٧،٥٩، وقال في توثيقه لأحد النقول: (لباب النقول في أسباب النزول: للسيوطى..وأثبت أنه أخرجه الشيخان أي البخاري ومسلم..والمقبول في أسباب النزول: لأبي عمر نادى بن محمود حسن الأزهري ..وقال أخرجه البخاري ومسلم وأحمد في السند -كذا- وابن جرير في التفسير). وانظر الحاشية في ١/ ١٢٠.

(٩٢) النص المؤسس ١/ ٣٦.

يروي لنا من أخبار عن الثقات من طرفه هو)[٩٣]، وفوق هذا أنه ساق الكلام بهذه الصورة التي لايتضح فيها كلام المحقق من كلامه هو.

هـ/ نقله من كتب ليست هي المعتمدة في ذلك العلم، وإهمال النقل من كتب أصول ذلك العلم، و(يزيد الطين بلّة) أن يزعم أن ذلك الكتاب المغمور الذي نقل عنه: هو من الكتب ذائعة الصيت[٩٤]!.

و/ نقله الروايات من كتب معاصرة، مع وجود تلك الروايات في المراجع الأصلية المعتمدة، ودون وجود معنى صحيح في نفس النص المنقول[٩٥].

ز/ وجود المقرر السابق عند المؤلف، الذي ثبت في ذهنه واستقر فيه قبل البحث والنظر، ثم هو يعمد إلى الكتب التراثية –كما يسميها– ليتتبع ما يمكن أن يستدل به على هذا المعنى الذي قام في ذهنه، ولذا فهو قد يتسمّح بالاستدلال بما لا يصح سنداً، أو بما لا دليل فيه على المراد، وإنما هوّن ذلك عليه: وجود المقرر السابق.

ح/ ومن عجيب ما يذكر هنا: أن الكاتب يكتب كلاماً من إنشائه في الحاشية، ثم يختم كلامه بـ(ا.هـ) وكأن العبارة منقولة وليست من كلامه، مثاله قوله: (يوجد في خُم غدير يؤكد إخوتنا الشيعة أن " المحمود في الأرض والسماء" أعلن أن علي بن أبى طالب كرم الله وجهه وعطر مرقده هو وصيه وهم يحتفلون بهذه المناسبة وأهل السنة والجماعة ينكرون مسألة الوصية مع ملاحظة أن حديث غدير خم ورد في صحيح البخاري، **انتهى**)[٩٦]!!.

---

(٩٣) النص المؤسس ١/ ٥٨.

(٩٤) النص المؤسس ١/ ٥٧ وكلامه في كتاب (المحبر) لمحمد بن حبيب الهاشمي أبي جعفر.

(٩٥) المرجع السابق ١/ ٧٣-٧٤

(٩٦) النص المؤسس ١/ ٦١.

ط/ مارس المؤلف شكوكاً غير منهجية، لا تستند على معطيات موجودة ولاصحيحة، وإنما هي افتراضات رجمها بالغيب دون برهان علمي يجب المصير إليه، فمن ذلك أنه عندما ساق قصة وفاة أبي سلمة رضي الله عنه، وتقدُّم الخُطَّاب لخطبة أُمّ سمة بعد انقضاء عدتها، وعلى رأس من تقدَّ إليها أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فقال المؤلف معلِّقاً: (نحن نرجح أن أهم دوافع التيميّ والعدويّ لخطبة أم سلمة هو أن يحولا دون نكاح "صاحب البيان" إياها، لما تتمتع به من جمال باهر ووضاءة فائقة، فتغدو منافسة خطيرة لابنتيهما عائشة وحفصة وتزاحمهما في مكانتهما عنده، ولما يسببه لهما ذلك من غيرة وقلق، وهو ما تحقق بحذافيره)[٩٧]، وهذا القول منه ما هو إلا شكٌّ لا يستند لأيّ معايير.

ي/ اعتسافه النصوص، وتحميلها مالاتحتمل من المعاني: ومن أمثلة ذلك أنه في معرض تدليله على الفرق بين القرآن الذي تلقاه الصحابة عن النبيﷺ وبين المصحف المدوّن في زمن عثمان رضي الله عنه نقل عن القسطلاني نصّاً فقال: (أورد الإمام شهاب الدين القسطلاني في كتابه "لطائف الإشارات لفنون القراءات": فتلقاه –يعني: القرآن المجيد– أصحابه –أي الأمين المأمون– منه غضاً، وأدَّوه إلى من تلقَّاه عنهم خالصا محضاً)، وعقَّب بقوله: (والقسطلاني من علماء القرن العاشر الهجري، أي انصرمت على تدوين مصحف عثمان الأموي تسعة قرون وقرابة ربع قرن عند وفاته، بيد أنه يحدد بمنتهى الدقة القرآن النصّ الخالص المحض، الذى كَنَّه الصحاب في صدورهم، ثم تلوه على التابعين كما تلقوه من الإنسان الكامل/لابس الصوف، وهي عبارات صريحة النص والدلالة معاً على ذيّاك التمييز الذى نسخناه في بديّ هذه الفقرة، وليس ضربة لازبٍ أن يسطره

(٩٧) النص المؤسس شاشة ١٧٩.

القسطلاني بحروفه)[٩٨]، وهذه دعوى عارية عن الصحة، وعبارة القسطلاني لاتدلُّ على ما ذكره مطلقاً من كون ما تلقاه الصحابة غير مادُوِّن في مصحف عثمان، ولكن هكذا يعتسف المؤلف النصوص، ويحشو مجملاتها بما شاء من المعاني المدَّعاة.

إلى غير ذلك من الملحوظات المنهجية الدالَّة على فساد النتائج التي توصل إليها المؤلف، مما يجعل آراءه وأحكامه التي أطلقها في هذا الكتاب لا يمكن التسليم لها، ولا القبول بها.

٣- اعتماد المؤلف لتقوية كثير من أفكاره على التقعر في الكلام والتزيد فيه والقصد إلى العبارات والتراكيب المصنوعة المرتبكة في دلالتها، وإن كانت نفس الكلمة عربية، ولكن استخدامها بهذا التركيب غريب مستوحش.

وهذه صفة يبغضها الله تعالى، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيﷺ قال: (ألا أخبركم بشرار هذه الأمة؟ الثرثارون المتشدقون المتفيهقون)[٩٩]، وربما سرد أربع جمل مترادفة في مكان واحد ولاءً..والمعنى واضح[١٠٠]؛ لا يحتاج إلى كل هذا الضجيج.

حتى صار الكتاب كتاباً مستغلقاً لا يفهم إلا بعد عناء وتأمل طويل في الكلام، لا لجزالته وقوة عبارته –وإن ظن الكاتب ذلك– ولكن لسوء تركيبه ونفور كلماته عن بعضها، وهذا نوع عجمة ولاحول ولا قوة إلا بالله.

---

(٩٨) النص المؤسس شاشة ٤٨-٤٩.

(٩٩) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٥١/ ٤٩٧٠.

(١٠٠) النص المؤسس ١/ ١٠٤، قال: (وبرزت فيه جفاوتهم أسئلتهم السمجة، واستفساراتهم السقيمة، واستيضاحاتهم المستهجنة، واستبياناتهم المرذولة)!.

٤- لقد امتلك الكاتب قدراً كبيراً جداً من الشعوبية والبغض للعرب، أهل رسالة الإسلام، فكثيراً ما يتندر –البائس– بهم، ويتلذذ بنسبة كل قبيح لهم، حتى أنه – يا ويله– نسب لهم ما يعرف المحب والمبغض إذا أنصف أنهم من أبعد الناس عنه كالجبن والبخل..وما شاكلها من الأوصاف التي تنافرها طبيعة العرب، وتركيبة خلقهم، فمن ذلك على سبيل المثال قوله : (لأن هؤلاء العرب الأجلاف يخبرنا تاريخهم المجيد بل يؤكد أن الجبن طبيعة فيهم والخسة غائرة في حنايا نفوسهم، والنذالة من مقومات تكوينهم، ولا تردعهم إلا القوة، ولا يعملون حساباً إلا للغلبة، فهم يستأسدون، فهم لا يستأسدون إلا على النحيف الأعجف المهزول)[١٠١].

وقال: (وإذ إن ملامسة الحليلة لدى أولئك العربان طقس يومي فشق عليهم وخالفوه)[١٠٢]، وقال: (كيف لا ومقاربة الزوجات معلم بارز في حياتهم المبرورة)[١٠٣]، وقال: (أولئك العربة –كذا– يجري في دمائهم التعيش من الدخول الريعية التي تأتي دون بذل مجهود..أنهم ارتكزوا في معايشهم على عرق العبدان، بل وعلى ما تدره أفخاذ جواريهم دون أن يشعروا في بأي معرة)[١٠٤].

٥- الكاتب جعل من أوائل مقاصده في هذا الكتاب محاولة زعزعة الثقة بالصحابة رضي الله عنهم في نفوس عموم القرَّاء، وأن المجتمع الذي نزل فيه القرآن لم يكن يختلف كثيراً عن أيِّ مجتمع متخلِّف بكل ما فيه من نقص ومخالفات ومعاصي وفسوق وسوء طوية..الخ، ولذلك فهو قد أقام خصومته

---

(١٠١) المرجع السابق ١/ ٩٣

(١٠٢) المرجع السابق ١/ ١٣١

(١٠٣) الموضع السابق.

(١٠٤) المرجع السابق ١/ ١٥٣، وانظر أيضاً ١/ ١٦٠

الحانقة مع الصحابة رضي الله عنهم مستغلاً كل مناسبة للولوج منها إلى إثبات منقصة لهم، أو التشكيك في مناقبهم.

فالدافع الذي يدفعهم –رضي الله عنهم– للخروج إلى الجهاد مع رسول اللهﷺ عنده هو: السبايا من النساء[١٠٥]، وربما حاول أحدهم وطء السبية فور سبيها وقبل استبرائها[١٠٦]، فهم (يتلهفون على مس الصبايا)[١٠٧]، وهم يتململون من نزول آيات الأحكام[١٠٨].

وإمعاناً منه في استنقاص الصحابة رضي الله عنهم: أنه جعل لكل صحابي عنده وصف ذمٍّ مميز، فـ: عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان رضي الله عنهما= فرَّا يوم أحد وأطلقا أرجلهما للريح[١٠٩]، وأوس بن الصامت رضي الله عنه= مولع بالنسوان ولذلك ظاهر من زوجته حتى ينكح جارية صبية يمتع(...)بها[١١٠]، وزينب بنت جحش رضي الله عنها= تدبر خطة محكمة لتظهر أمام رسول اللهﷺ بثياب البيت حتى ينكحها[١١١]..، إلى غير ذلك مما لو عرضته لما قام في نفس الجاهل لأحد من الصحابة أدنى تقدير.

ويبدو أن هذا الكاتب قد كتب كثيراً من فصول كتابه وهو تحت تأثير اعتقاد سكن نفسه: أنّ ذاك المجتمع النقيَّ الأول كان مترعاً بالمؤامرات والخداع وسوء الطوية والأهداف الرديئة، ولذا تراه يسوق الخبر من السيرة وكأنها مسرحية من

---

(١٠٥) المرجع السابق ١ / ١٤٠

(١٠٦) المرجع السابق ١/ ١٤٠

(١٠٧) المرجع السابق ١/ ١٤٢

(١٠٨) المرجع السابق ١/ ١٧٠

(١٠٩) ١/ ١٧٠-١٧١

(١١٠) ١/١١٦١،١٥٩

(١١١) ١/ ٨٩

مسرحيات العصر، تمتلئ بمشاهد الخيانة والجشع والخسة..وهذا إسقاط غير رشيد أفقد كتابه الاحترام والثقة بما فيه.

٦-يمكن أنْ يصنف هذا المؤلَّف أنه مؤلَّف ساخر متهكم، أبعد ما يكون في عرضه عن العرض العلمي الجادِّ، ولذلك فهو لا يفتأ يذكر الموقف من السيرة، يعرضه عرضاً منفِّراً يقحم في ثنايا جمله إشارات التهكُّم وإيماءات السُّخرية، وهذا دليل على عدم الحيادية في العرض، وأنّ الكتاب أبعد ما يكون عن الإنصاف.

يتضح هذا بالمثال؛ فهو ينقل قصَّة قتل زيد بن حارثة -رضي الله عنه- أمّ قرفة بصورة شنيعة[١١٢]، ثم يعقب عليها بوصف رسول اللهﷺ، -الذي بزعمه أمر بتلك القتلة- بأنه: **نبيّ الرحمة!!**، والصحابة الذين عاثوا في مصر واستنزفوا خيراتها بغزوهم الهمجي: عندما وطئوها بخيلهم **المباركة!!**، والكفرة الذين سيدخلون النار يخترعون المخترعات العظيمة التي نفعت المسلمين قبل غيرهم..

٧-يتضح من خلال هذا الكتاب أن مؤلفه رجل قد اختلطت في نظره كثير من المسائل الشرعية، فهو لا يحقق القول في مسائل كثيرة، فتأتي كتابته شُنْعَةً ومُثْلَة!، فيخلط بين الجهاد في سبيل الله تعالى في الهدف والغاية وما يسمى بالحروب الدينية التي قامت بين النصارى بجميع أطيافهم، وبين البغض في الله تعالى والعدل مع الكفار وعدم البغي عليهم، في قائمة طويلة من المسائل التي

(١١٢) قال الإمام ابن رجب في جامع العلوم والحكم -ت ماهر الفحل- ١/ ٤٣٩: (ورُوي أنَّ أم قِرْفة الفزارية ارتدت في عهد أبي بكر الصديق، فأمر بها، فشدَّت ذوائِبُها في أذناب قَلُوصَيْنِ أو فرسين، ثم صاح بهما فتقطعت المرأة، وأسانيد هذه القصة منقطعة. وقد ذكر ابنُ سعد في " طبقاته " بغير إسناد: أنَّ زيدَ بن حارثة قتلها هذه القتلة على عهد رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم-، وأخبر النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- بذلك).

بعضها فيه سوء فهم منه وعدم معرفة بحدودها شرعاً؛ وبعضها متعمَّد تُضرب فيه الأحكام لقصد الإسقاط وإظهار التناقض.

٨-يتضح -كذلك- من طريقة عرض الكاتب للأحاديث النبوية أنه كان شديد الجهل بالحديث النبوي وبمصطلحه؛ ويظهر ذلك في مظاهر؛ منها:-

أ/ لا يفرق عند الاستدلال بين الحديث الصحيح والحسن وغيره، فهو يسوق كل ما وقع بين يديه بلا تفريق.

ومن ذلك مثلاً: أنه أراد أنْ يثبت وجود الخرافات والأساطير في كتب التفسير التراثية، فنقل بلاغ ابن جريج فقال: (في قوله: "الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن"، قال: **بلغني** أن عرض كل أرض مسيرة خمسمائة سنة، وأن بين كل أرضين مسيرة الثرى، واسمها تخون، وأن أرواح الكفار فيها، ولها منها اليوم حنين، فإذا كان يوم القيامة ألقتهم إلى بهوت، فاجتمع أنفس المسلمين بالجابية، والثرى فوق الصخرة التي قال الله في صخرة، والصخرة خضراء مكللة، والصخرة على الثور، له قرنان وله ثلاث قوائم، يبتلع ماء الأرض كلها يوم القيامة، والثور على الحوت، وذنب الحوت عند رأسه مستدير تحت الأرض السفلى، وطرفاه منعقدان تحت العرش، ويقال الأرض السفلى على عمد من قرني الثور..)[١]! وهذا بلاغ غير متصل، وهو حديث كذب ظاهر، وقد تتابع الأئمة على وصفه بالوضع والكذب، فقال ابن القيم: (فهذا من وضع أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء بالرسل)[٢]، وقال:

---

(١) النص المؤسس شاشة ٢٠، وهذا الأثر في الدر المنثور للسيوطي ١٤/ ٥٦٢-٥٦٣.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، لمحمد أبي شهبة (ص: ٣٠٥).

وقال: (وَالْعَجَبُ مِنْ مُسَوِّدِ كُتُبَهُ بِهَذِهِ الْهَذَيَانَات)[1]، وقال القاوقجي في اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع: (موضوع)[2].

ب/ يسمي الكاتب (الكتب الستة) بـ: الصحاح الستة؛ وليس ذلك منه اتباعاً لمنهج من أطلق عليها هذه التسمية من أهل العلم[3]، وإنما أراد بها ألا يحوج نفسه –عند الاستشهاد بأي حديث– إلى نقل القول بصحته عن أحد من أهل العلم، وليس ذلك عن جهل منه ولكنه تجاهل؛ فقد ذكر المؤلف في الكتاب علماءَ الحديث وانتقدهم، لأنهم بزعمه يصححون ما شاءوا ويضعفون ما شاءوا، كذا قال..مما يدل على معرفته بالصحيح وغيره.

ج/ كان يرى أن مجيء الحديث أو الأثر من أكثر من طريق، وفي أكثر من كتاب، أن ذلك دليل ثبوت الخبر –بل القطع به!– فكان دائماً يقول بعد سرده بعض أخرج الحديث عبارة مثل: (فثبتت بذلك القصة فلا مجال للشك في صحة الرواية) ونحو هذه العبارة، دون اعتبار في ذلك لما يشترطه أساطين الحديث وعلماء الأسانيد.

د/ أنه يجعل بعض كتب التواريخ الجوامع، التي هي مستودع للروايات بكل درجاتها، والتي لايجعلها علماء الحديث مصدراً موثوقاً لما تتفرَّد به من الروايات، يجعلها مصادر يستحيل أن تحمل روايات غير صحيحة أو حتى يشكُّ في ثبوتها مجرَّد شك!، فيقول في معرض كلامه عن الإمام أبي جعفر الطبري: (ومؤلفه "تاريخ الرسل والملوك"

---

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ص: ٧٨).

(٢) ص: ٥٢

(٣) وإن جاءت التسمية بذلك عن بعض أهل العلم كالذهبي وغيره، ولكنهم لم يريدوا من ذلك ما أراد الكاتب، مع العلم أن اصطلاحهم قد استقر على عدم هذه التسمية.

المعروف بتاريخ الطبري لايشق له غبار، ويعتبر مقدم كتب التاريخ الإسلامي، ومثله من المستحيل أن تحمل مصنفاته أخباراً غير صحيحة، أو مشكوكاً فيها)[1]!!.

هـ/ تجد المؤلف يوثِّق الروايات والأحاديث من غير الكتب المسندة، بل من غير مصادر الحديث أصلاً، فيقول: (روي أن يوم بدر: الشبان قتلوا وأسروا والأشياخ وقفوا مع رسوا اللهﷺ في المصاف، فقال الشبان: الغنائم لنا لأننا قتلنا وهزمنا —كذا-، وقال الأشياخ:كنا ردءاً لكم ولو انهزمتم لانحزتم إلينا، فلا تذهبوا بالغنائم دوننا، فوقعت المخاصمة لهذا السبب)، ثم وثَّق الرواية فقال: (مفاتيح الغيب للرازي، المجلد السابع، ص ٤٣)[2]، وربما وثق الرواية من الجامع لأحكام القرآن للقرطبي[3]، وهكذا!.

٨- أثنى الكاتب في غير ما موضع على المعتزلة، ومدحهم بعنايتهم بالعقل، وكأن ذلك لم يعتن به علماء السلف من أهل السنة، فيقول عنهم في معرض كلامه عن الزمخشري وهو من كبار المعتزلة: (إن صاحب الكشاف " الزمخشري" من المعتزلة الذين ينعتون بأنهم فرسان العقل)[4].

---

(١) النص المؤسس شاشة ٧٢.

(٢) النص المؤسس شاشة ٢٠١.

(٣) النص المؤسس شاشة ٢٠٢.

(٤) النص المؤسس شاشة ٦٧.

المبحث الخامس:

نماذج من شبهاته حول القرآن والرد عليها

إن المجيء على كل الشبه التي ذكرها "خليل عبدالكريم" تصريحاً أو تلميحاً في هذه العجالة أمر غاية في الصعوبة حقاً؛ فإن المسكين تشرَّب كثيراً من الشبه التي أوردها من سبقه حول رموز الإسلام، ولكن لا مانع من الوقوف مع بعص هذه الشبه ومحاولة الإجابة عنها.

***أولاً: ما يتعلق بالقرآن الكريم:**

الشبهة الأولى: أن القرآن الكريم لم يدون حتى سنة ٣٠هـ[1].:

يقول خليل عبدالكريم: (إن هذه الصورة الصوتية، أو القرآن المحفوظ في الصدور والمنقوش في الذاكرة، والذي استمرَّ أكثر من ربع قرن، بل إنه امتدَّ حتى سنة ٣٠ هجرية، وهي التي يرجّح باحث رصين أنها سنة كتابة المصحف، أي هو المعوّل عليه لما يقرب من ٤٥ عاماً، وهي ليست سنوات عادية بل هي التي شهدت الانبثاق، وعاينت التكوين، وحايثت التأسيس)[2].

وقال أيضاً: (إذن المصحف المقروء أو المتلوّ الذي استودعه الصحاب صدورهم، واختزنوه في ذاكرتهم، ووعوه في قلوبهم وحده هو الذي تسيّد وهيمن طوال الثلاثة والعشرين عاماً، منذ واقعة مغارة حرى الخارقة، حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى راضياً مرضياً، ثم شطراً من خلافة ابن أبي قحافة التيمي، ثم دوِّن في صحائف

(١) ذكر هذه الشبهة في المواضع التالية : النص المؤسس ١/ ٢٠ و ٢/ ٣٧٢.

(٢) النص المؤسس ٢/ ٣٧١-٣٧٢.

وسلم لحفصة بنت عمر إحدى الزوجات التسع لأول من تنشق عنه الأرض، ومع ذلك ظلت الهيمنة والسيادة للحفظ والتلاوة والقراءة الشفوية باقي أيام أبي بكر التيمي، ثم طوال عهد العدوي عمر، وشطراً من حكم الأموي عثمان، فإذا حسبت هذه المدد وضممتها إلى بعض بلغت أربعين عاماً)[1].

وهو يريد بهذا ما سبق التأكيد عليه مراراً حول كون القرآن جدلي تاريخي، ومما يمكن الاتكاء عليه لتقوية هذا الزعم: القول بتأخر جمع القرآن إلى ذلك التاريخ الذي أشار إليه الكاتب.

ولاحظ أنّ الكاتب هنا لا يتحدث عن جمع القرآن، وإنما يتكلم عن مطلق التدوين للقرآن الكريم، وهذا القول يتضمن إلغاء اعتبار التدوين الذي كان يتمَّ أولاً بأول لكل ما ينزل من القرآن الكريم بين يدي النبيﷺ[2]، ولجمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه[3].

والجدير بالذكر هنا أن التاريخ الحقيقي لجمع القرآن الكريم في زمن عثمان رضي الله عنه -وهو الجمع الثاني- كان في حدود أواخر سنة٢٤هـ وأوائل سنة ٢٥هـ، كما قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: (فيكون ذلك بعد مضي سنة واحدة من خلافته، فيكون ذلك في أواخر سنة أربع وعشرين، وأوائل سنة خمس

---

(١) النص المؤسس ١/ ١٩-٢٠.

(٢) انظر أدلة ذلك في بحث: نزول القرآن والعناية به في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، المؤلف: عبد الودود مقبول حنيف، وبحث: جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة، للمؤلف: أ. د. علي بن سليمان العبيد، وكلاهما من نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

(٣) انظر: رسالة علمية بعنوان: جمع القرآن دراسة تحليلية لمروياته، المؤلف: أكرم عبد خليفة حمد الدليمي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.

وعشرين، وهو الوقت الذي ذكر أهل التاريخ أنّ أرمينيّة فتحت فيه، وذلك في أول ولاية الوليد بن عقبة بن أبي معيط على الكوفة، من قبل عثمان)[١].

وقد اختار بعض أهل العلم أن الجمع العثماني كان في الثلاثين من الهجرة، مثل العلامة ابن الجزري وابن الأثير[٢]، ولكن كلامهم كان في جمع القرآن وليس في تدوينه وفرق بين الأمرين، ومع ذلك فهو قول مرجوح، والقول الأول أصح[٣]، ولذا قال الحافظ ابن حجر: (وغفل بعض من أدركناه فزعم أنه كان في حدود سنة ثلاثين ولم يذكر له مستنداً)[٤].

وإنما أخذ الكاتب هذه الشبة متلقفاً لها من كتابات أحد الباحثين المعاصرين وهو: عبدالله خورشيد البري، في كتابه: القرآن وعلومه، فرآها توافق ما يدعيه أو تعين عليه فسطا عليها وسمى قائلها: باحثاً رصيناً[٥] —كعادته إذا نقل ما يحبه عمن كان– حتى يروج لذلك القول.

وعبدالله خورشيد بدوره سطا على ما ذكره المستشرقون في هذا الباب وادّعاه لنفسه، فقد أشار إلى هذه الشبهة جماعة من المستشرقين[٦] منهم على سبيل

(١) فتح الباري ٩/ ١٧.

(٢) النشر: ١/ ٧، الكامل:٣/ ٥٥، وانظر: جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، تأليف: عبد القيوم السندي (ص: ٣٨).

(٣) جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، تأليف عبد القيوم السندي (ص: ٣٨).

(٤) فتح الباري ٩/ ١٧، وانظر: بواسطة (جمع القرآن الكريم) للدكتور فهد الرومي ص ١٩.

(٥) النص المؤسس ٢/ ٣٧٢

(٦) انظر: مواقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم ورسمه وترتيبه عرض ونقد للدكتور أبو بكر كافي ص ١٢–١٥.

المثال: غوستاف لوبون[1]، وسوردال، وبلاشير[2]، يقول غوستاف لوبون: (ولم يُجمع القرآن نهائيا إلا بعد وفاة محمد، وبيان الأمر أن محمداً كان يتلقى في حياته عدة نصوص عن الأمر الواحد، فلما انقضت عدة سنين على وفاته حمل خليفته الثالث على قبول نص نهائي مقابلاً بين ما جمعه أصحاب الرسول)[3]، مع ملاحظة أنه أيضاً يتحدث عن الجمع لا عن التدوين.

الشبهة الثانية: أن القرآن تلفيق من اليهودية والنصرانية ومعتقدات العرب:

كان الكاتب كثيراً ما يردد عند حديثه عن أحكام الإسلام وتشريعات القرآن عبارة: (انتسخها القرآن – انتسخها الإسلام..) في مواضع من كتابه، واستدل على ذلك بأن النبيﷺ كان يحب أن يوافق أهل الكتاب فيما لم يرح إليه فيه

(١) غوستاف لوبون (٧ مايو ١٨٤١م – ١٣ ديسمبر ١٩٣١م) هو طبيب ومؤرخ فرنسي، عمل في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا، كتب في علم الآثار وعلم الانثروبولوجيا، وعني بالحضارة الشرقية، توفي في ولاية مارنيه لاكوكيه، بفرنسا ١٩٣١م.

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%88%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%81_%D9%84%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%86

(٢) ريجي بلاشير (١٣١٨هـ – ١٣٩٣ هـ/ ١٩٠٠ – ١٩٧٣ م) هو مستشرق فرنسي، ولد في مدينة مونترج يوم ٣٠ يوليو ١٩٠٠، وتوفي في مدينة باريس يوم ٧ أغسطس ١٩٧٣، معروف باطلاعه العميق على اللغة العربية و الأدب.

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%8A%D8%AC%D9%8A_%D8%A8%D9%84%D8%A7%D8%B4%D9%8A%D8%B1

(٣) حضارة العرب ص١١٥، بواسطة بحث: مواقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم ورسمه وترتيبه عرض ونقد للدكتور أبو بكر كافي ص ٨ و٩.

شيء، يقول خليل عبدالكريم: (وأنه فى ذياك الإبان دأب على موافقة أهل الكتاب في مالا يخالف الديانة الشريفة التى يبشر بها)[1].

وقال بعدها: (تيقن "سيد ولد قُصيّ" أنه لا فائدة من بني إسرائيل، فلا هم سيتركون عقيدتهم ويسلمون، ولا سيكفون عن مسلكهم الأثيم، وأفعالهم وممارساتهم الدنيئة، وغدت **متابعتهم** على قبلتهم، أو **الاقتداء بهم** في التولية نحو بيت المقدس، **والتأسي بهم** في التوجه صوب إيلياء غير مجدية..فغدا من الضروري ترك قبلة أولاد الأفاعي..وهنا أصبح شروق آية تقضي على طقس الاتجاه نحو بيت المقدس، وتأمر باستقبال القبلة الحبيبة حتماً لازماً، وحاجة ملحة)[2].

وعلى كل حال فإن هذا الزعم قد سبق الكاتب إليه من قبل بعض المستشرقين، وفي هذا السياق يقول المستشرق اليهودي إبراهام جيجر في كتابه "ماذا اقتبس محمد من اليهودية": (إن القرآن مأخوذ باللفظ أو بالمعنى من كتب اليهود).

ويؤكد اليهودي برنارد لويس: (أن محمداً خضع للتأثيرات اليهودية والمسيحية كما يبدو ذلك واضحاً في القرآن).

ويشرح جولدتسهر قائلاً: (تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثراً عميقاً، والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة..فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعد هذه التعاليم وحيا إلهياً) (٣).

---

(١) النص المؤسس شاشة ٥٩.

(٢) النص المؤسس شاشة ٦٥.

(٣) جولدتسهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ١٢، بترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، القاهرة ١٩٤٨م، وهذه النقول عن المسستشرقين كلها من بحث بعنوان: الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، المؤلف: د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة

وهذه كلها افتراءات لا تثبت عند المناقشة العلمية، ويمكن الرد على هذا من خلال النقاط التالية:

١- ثبوت نبوة نبينا محمد وتنوع دلائل ذلك من بشارات في الكتب السابقة، وإرهاصات نبوته قبل مبعثه، وإعجاز القرآن الكريم، والمعجزات الكثيرة الدالة على صحة رسالته، وما يعلم من سيرته، مما يبعد أيّ شبهة افتراء أو اقتباس.

٢- إن النبيﷺ كان أمياً وهذا معلوم من سيرته، وهذا أبلغ في استبعاد أن يكون استقى من أهل الكتاب وغيرهم.

٣- أن النبيﷺ لم يطلع على الإنجيل، ولم يقرأه أحد عليه، كما أنه لم يتلق عن أهل الكتاب ما زعموه مطلقاً، ولم يكن يجالس أهل الكتاب قبل البعثة، ولقاءاته بهم بعد بعثته كانت على قلتها عامة بغرض دعوتهم، لا لتلقي عنهم، كما حدث مع نصارى نجران ويهود المدينة.

٤- لو افترضنا جدلاً احتمال جلوس النبيﷺ مع أهل الكتاب سراً، فإنه من المستحيل أن يكون هذا الدين العظيم بما فيه من عقائد وشرائع وأخبار وآداب هو حصيلة تلك الاجتماعات مطلقاً.

٥- ما ذكره ابن تيميه بقوله: " وقد علم بالتواتر أن المشركين من قريش وغيرهم، لم يكونوا يعرفون هذه القصص، ولو قدر أنهم كانوا يعرفونها، فهم أول من دعاهم إلى دينه فعادوه، وكذبوه، فلو كان فيهم من علمه، أو يعلم أنه تعلم من غيره لأظهر ذلك، ولو كانت هذه القصص المتنوعة قد تعلمها من أهل الكتاب مع عدوانهم له، لكانوا يخبرون بذلك ويظهرونه ولو اظهروا ذلك، لنقل ذلك وعرف، فإن هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها ".

المصحف الشريف، وهو بحث مقدم لندوة العناية بالقرآن الكريم في المملكة عام١٤٢١هـ، ص ٦٠-٦١.

٦- أما بالنسبة للتشابه في القصص فإن هذا لا يدل على الاقتباس وإنما يدل على وحدة المصدر بين الكتب السماوية.

٧- المقتبس لابد أن ينقل الفكرة كلها أو بعضها، والقرآن يتجاوز ذلك فيأتي بجديد لم يذكر في قصص التوراة والإنجيل، بل ويصحح خطا وقع فيها[١].

الشبهة الثالثة: أن القرآن تكرار لقصص العهد القديم والجديد:

يقول خليل عبدالكريم: (إن الكتاب المبين=القرآن ضم شطراً كبيراً منه تناول قصص الخلق والتكوين وآدم وحواء والشيطان وهابيل وقابيل ونوح —كذا- وطوفانه المدمّر، ثم حكايا بقية البطاركة، وهذه كلها وردت نظائرها في الكتاب المقدس، خاصة العهد القديم، كما قص حكايا عاد وأخيهم هود، وأخيهم صالح والناقة المدهشة، التي خصص لها يوم تشرب فيه بمفردها، والقرية بأكملها بشراً وحيوانات لهم يوم..هذه الحكايا عرفت منذ قرون في جزيرة العرب، وتناقلتها أجيال وأجيال)[٢]. وهذا قد ألمح له الكاتب أيضاً في مواطن كثيرة من هذا الكتاب ومن كتاب"فترة التكوين كذلك"، وهو أيضاً مسبوق إلى هذا القول؛ (يقول جولدتسهر: لقد أفاد محمد من تاريخ العهد القديم وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء ليذكَّر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم ووقفوا في طريقهم)(٣).

---

(١) المناقشة مقتبسة كاملة من بحث: شبهة اقتباس القرآن من كتب الأمم السابقة عند المستشرقين، تأليف: هيا العتيبي، بإشراف الدكتور خالد القاسم ص ٢٣.

(٢) النص المؤسس ٢/ ٣٧٢-٣٧٣.

(٣) جولد تسهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ١٥ مرجع سابق، والمعنى نفسه أورده بلفظ مقارب في ((مذاهب التفسير الإسلامي))، ص ٧٥، بترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة ١٩٥٥م .

وقد ردَّ القرآن الكريم ذاته على هذه الشبهات من خلال طرق ثلاث؛ وهي:

أولاً: طريق التحدي.

وهو طريق الردع لذوي اللجاجة في الجدل، غير المنقادين إلى المسلمات والحقائق، والرافضين لكل برهان يقينيّ ودليل إلزامي وحجة دامغة.

وفي هذا الصدد يقول تعالى: ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً**﴾[١].

فإن كان محمد ﷺ قد استطاع بمساعدة أهل الكتاب أن يأتي بالقرآن من عند نفسه، فليحاول أهل الكتاب أنفسهم ومعهم الثقلان من الجن والإنس أن يأتوا بمثل القرآن إن كانوا صادقين في زعمهم مبدأ الإفادة .

وهذا التحدي القرآني يشتمل على دليل بطلان مزاعمهم، إذ التحدي مكلَّل بفشلهم وهو دليل على بطلان دعواهم.

ثانياً: طريق المقارنة.

حيث يدعو القرآن إلى تأمل آياته وقصصه وأخباره، إذ ينتهي ذلك التأمل إلى نتيجة حتمية مؤداها: تنزيه القرآن عن الاختلاف والتناقض، وهذه سمة الوحي الإلهي الأصيل فقط، أما غيره فيشتمل على وجوه من الاختلاف والتضارب.

وفي هذا يقول تعالى: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً**﴾ [٢].

نقلته بواسطة بحث: الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، المؤلف: د. عبدالراضي محمد عبدالمحسن، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص ٦٠.

(١) (الإسراء : ٨٨)

(٢) (النساء : ٨٢)

ثالثاً: طريق النقد التاريخي.

وفيه ألزم القرآن مجادليه بحقيقتين تاريخيتين تبطلان مزاعمهم:

الحقيقة الأولى: أمية الرسول ﷺ وعدم معرفته بالقراءة والكتابة، كما قال تعالى: ﴿**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون**﴾[1].

والحقيقة الثانية: عجمة المعلمين المزعومين، فالحداد الذي نسبوا إليه تعليم النبيﷺ كان لسانه أعجمياً لا يجيد العربية، بينما القرآن في أعلى طبقات الفصاحة التي سجد لها بعض الأعراب، والتي لا يستقيم عقلاً أن يتعلمها النبيﷺ من أعجمي، كما قال تعالى: ﴿**ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين**﴾ [2].

وأما القول بأن القرآن فيه استفادة من الكتب السابقة في القصص والأخبار؛ فإن هذه الدعوى يبطلها منهج نقد النصوص المقارن، لإبراز جوانب التباين بين مرويات القصص القرآني ومنهجها، وبين القصص التوارتي والإنجيلي.

وبواسطة هذا المنهج يمكن الوقوف على دلائل كثيرة تتهافت معها دعوى تكرار القرآن لقصص التوراة والإنجيل، نكتفي منها بدليل واحد وهو:

اختلاف منهج القصص في القرآن عن المنهج القصصي في التوراة والإنجيل:

فيختلف منهج القصص في القرآن عن المنهج القصصي في التوراة والإنجيل من عدة جوانب، منها:

---

(١) (العنكبوت:٤٨)

(٢) (النحل:١٠٣)، وانظر بحث: الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، المؤلف: د. عبد محمد عبد المحسن، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

١- مصدر القصص: حيث إن الذى يقصُّ في القرآن هو الله تبارك وتعالى(١)، فهو المتكلم بالكلمة القرآنية، يقول تعالى: ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص**﴾ ٢، ويقول تعالى: ﴿**نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى**﴾ ٣.

أما في التوراة والإنجيل فالله تعالى متحدَّث عنه بطريق الحكاية لتعريف الناس به.

٢- التشخيص البياني: وهو التعبير بالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعاني الذهنية، والحالات الشعورية والمشاهدات والأحداث الحقيقية، وهذا النهج التشخيصي هو الأداة المفضلة في القصص القرآني، يقول سيد قطب:

((إن التعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التى يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التى يعرضها فتستحيل القصة حادثاً يقع ومشهداً يجرى لا قصة تروى ولا حادثاً قد مضى)) (٤).

٣- التصريح والتلميح: في الوقت الذى يهتم القرآن بإبراز أدق التفاصيل النفسية والشعورية لأشخاص قصصه، فإنه يكتفي بذلك التشخيص معرضاً عن التصريح بالأسماء كما في قصة ((العبد الصالح)) ((الفتى))

(١) التهامى النقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، ص ٨٠ ، الشركة التونسية للتوزيع . تونس ١٩٧٤م.

(٢) (يوسف/ ٣)

(٣) (الكهف/ ١٣)

(٤) سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص ١٥٦ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦م .

مع موسىﷺ، وكما في قصة ثمود: ﴿ **إذ انبعث أشقاها** ﴾ [1]، وكما في مؤمن آل فرعون، وغيرها.

وقد يكون هذا التلميح إلى جانب ملاءمته للمنهج القصصي الذي يهتم بإبراز الحدث وقيمته ومغزاه لكونه الهدف من القصّ، فإنه كذلك يناسب طبيعة التشريع الإسلامي فيما يخصُّ أسماء النساء مثلاً: امرأة نوح وامرأة لوط وامرأة فرعون، وكذلك زوجة إبراهيم هاجر وسارة، وأسماء زوجات النبيﷺ، والمجادلة في زوجها[2]، فيحوط ذلك كله بجلال الإشارة دون تصريح.

٤- التجريد الزماني والمكاني: حيث لا يحدد القرآن زمن الحدث أو مدته أو مكانه، إلا ما كان محورياً في الحدث أو مسرحاً له، كمصر في قصة يوسفﷺ، أو المسجد الحرام والمسجد الأقصى في الإسراء والمعراج، أو مدة رسالة نوحﷺ، أو مدة لبث أهل الكهف في نومهم، أو المدة التي أماتها الله للمارّ على القرية الخاوية[3]، وهذا كله غير متوافر في التوراة والإنجيل، حيث يلتفتان إلى تفاصيل مكانية وزمانية لا تدعو لها أي حاجة.

٥- التنويع بين الإجمال والتفصيل: ففي مواضع التحذير من العناد والتكذيب والإصرار على الباطل، والتخويف من مصائر المكذبين: يكون الإيجاز والفواصل القصيرة، دون ذكر للأسماء أو للمحاورات،

(١) (الشمس/ ١٢)

(٢) حسين علي محمد، القرآن ونظرية الفن، ص ١١٢، القاهرة ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢م.

(٣) التهامي نقرة، سيكلوجية القصة في القرآن، ص ٩٧. مرجع سابق، وكتاب القرآن ونظرية الفن، لحسين علي محمد، ص ١١٣.

فيورد القرآن -مثلا- في تسع آيات من سورة الفجر ثلاث قصص لمكذبي الرسل تشمل أعمالهم وعقابهم، كما قال تعالى: ﴿**ألم تركيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد. وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الأوتاد. الذين طغوا في البلاد. فأكثروا فيها الفساد. فصب عليهم ربك سوط عذاب. إن ربك لبالمرصاد**﴾[1]. وهذا مالا نظير له في التوراة أو الإنجيل .

٦- عاقبة القصص: يأتي ختام القصة في القرآن بعكس ختام قصص التوراة والإنجيل، حيث تختم القصة مع نهاية السفر أو الإصحاح، ففي قصة يوسف مثلاً يفترض أن تكون الخاتمة في لقاء يوسف بأبيه يعقوب، الذي صورته التوراة على النحو التالي: (فشد يوسف مركبته وصعد لاستقبال إسرائيل أبيه إلى جاسان، ولما ظهر له وقع على عنقه وبكى على عنقه زماناً، فقال إسرائيل ليوسف أموت الآن بعد ما رأيت وجهك أنك حي بعد)[2].

وعلى الرغم من أن عبارة يعقوب لم تمس سبب العقدة الأصلية في القصة وهى رؤيا يوسف وتآمر إخوته عليه، فإن القاصّ في التوراة يكمل الأحداث بعد هذا اللقاء ليصف لقاء يعقوب بالفرعون، والمكان الذي أقطعه لبني إسرائيل، ومرض يعقوب وموته.

أما ختام القصص في القرآن فيكون غالباً في شكل عبرة، أو عظة، أو حكمة، أو تقرير موجز[3].

(١) (الفجر/ ٦ـ١٤)

(٢) سفر التكوين (٤٦ / ٢٩ ـ ٣٠) .

(٣) حسين محمد علي ، القرآن ونظرية الفن ، ص ١١٣ ، مرجع سابق.

تأمل مثلاً ما في قصة السامري مع العجل: ﴿**إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً** ﴾ [1]، وفي قصة أهل الكهف: ﴿**قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً**﴾ [2]، وفي قصة يوسف: ﴿ **ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً، وقال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيفٌ لما يشاء إنه هو العليم الحكيم**﴾ [3]، وفي قصة مريم وابنها المسيح: ﴿**ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد، سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون**﴾[4].

(١) (طه/ ٩٨)

(٢) (الكهف:٢٦)

(٣) (يوسف :١٠٠)

(٤) (مريم/ ٣٤ ـ ٣٥)، و هذا الفصل كاملاً مستفاد من بحث: الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، المؤلف: د. عبدالراضي محمد عبدالمحسن، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص١٠٣-١١٠

المبحث السادس:
نماذج من شبهاته التي تتعلق بالسيرة النبوية والرد عليها

الشبهة الأولى: زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها:

فإنه ختم مبحثاً متعلقاً بذلك بسؤال غير خافية منه علامات الاتهام للنبيﷺ، تزكم الأنوف منه رائحة خبث القصد وفساد النية، إذ قال: (لماذا عدل القرآن المجيد عن منهجه التدرجي في تحريمه للربا وللخمر واتخذ المنهج الفوري في تحريم التبني وما استتبع ذلك من حلّية منكوحة الابن المتبنى "سورة الأحزاب" الذي حطم نسقًا اجتماعيًا راسخًا في مجتمع شبه جزيرة العرب؟)[1].

وهو يريد من ذلك أن النبي ﷺ -واضع القرآن ومفتريه- بادر بادعاء تحريم التبني حتى لا يتأخر زواجه من زينب بنت جحش رضي الله عنها زوجة ابنه بالتبني زيد بن حارثة رضي الله عنه.

وقد أجاد الشيخ احمد بن عبدالعزيز القصير في الرد على هذه الشبهة[2]، فأنقل كلامه في المسألة كاملاً، قال -وفقه الله تعالى- :

(١) النص المؤسس ١/ شاشة ٨٧.

(٢) الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم عرض ودراسة، للدكتور أحمد بن عبدالعزيز القصير، ص ٧٠٩-٧٢٣.

(ذكر بعض المفسرين في سبب نزول هذه الآية: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم وقع منه استحسان لزينب بنت جحش رضي الله عنها ، وهي في عصمة زيد بن حارثة، وأنَّ النبي ﷺ كان حريصاً على أن يُطلقها زيد فيتزوجها هو.

وقد اتكأ على هذه الرواية عدد من المغرضين، من مستشرقين، وملحدين، وجعلوها أداة للطعن في نبينا الكريم، والنيل من شخصه الكريم).

ثم فصل في تخريج الرواية وذكر طرقها، فقال: (رويت هذه القصة من ثمانية طرق، كلها ضعيفة، وفيما يلي تفصيلها وبيان عللها[1]:

الرواية الأولى: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :« أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْزِلَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ، وَكَأَنَّهُ دَخَلَهُ (لَا أَدْرِي مِنْ قَوْلِ حَمَّادٍ أَوْ فِي الْحَدِيثِ) فَجَاءَ زَيْدٌ يَشْكُوهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ، قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ يَعْنِي زَيْنَبَ».

الرواية الثانية: عن محمد بن يحيى بن حبان: قال جاء رسول الله ﷺ بيت زيد بن حارثة يطلبه، وكان زيد إنما يقال له زيد بن محمد، فربما فقده رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة، فيقول: أين زيد؟ فجاء منزله يطلبه، فلم يجده، وتقوم إليه زينب بنت جحش، زوجته فُضُلاً، فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، فقالت: ليس هو هاهنا يا رسول الله، فادخل بأبي أنت وأمي، فأبى رسول الله ﷺ أن يدخل، وإنما عجلت زينب أن تلبس، لما قيل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الباب، فوثبت عجلى.

(١) حتى لا تسوَّد الصفحات بكلام مكرر: فيراجع تخريج هذه الطرق والكلام في تفاصيل عللها في كتاب: الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم عرض ودراسة، للدكتور أحمد بن عبدالعزيز القصير، ص ٧٠٩-٧٢٣.

فأعجبت رسول اللهﷺ، فولى وهو يهمهم بشيء لا يكاد يُفهم منه إلا ربما أعلن سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب، فجاء زيد إلى منزله، فأخبرته امرأته أن رسول اللهﷺ أتى منزله، فقال زيد: ألا قلت له أن يدخل؟ قالت: قد عرضت ذلك عليه فأبى، قال: فسمعت شيئاً؟ قالت: سمعته حين ولى تكلم بكلام، ولا أفهمه، وسمعته يقول: سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب، فجاء زيد حتى أتى رسول اللهﷺ فقال: يا رسول الله: بلغني أنك جئت منزلي فهلا دخلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها، فيقول رسول اللهﷺ: أمسك عليك زوجك.

فما استطاع زيد إليها سبيلاً بعد ذلك اليوم، فيأتي إلى رسول اللهﷺ، فيخبره رسول الله: أمسك عليك زوجك، فيقول: يا رسول الله أفارقها؟ فيقول رسول اللهﷺ: احبس عليك زوجك.

ففارقها زيد، واعتزلها، وحلَّت -يعني انقضت عدتها- قال: فبينا رسول اللهﷺ جالس يتحدث مع عائشة إلى أن أخذت رسول اللهﷺ غشية، فَسُرِّيَ عنه وهو يتبسم وهو يقول: من يذهب إلى زينب يبشرها أن الله قد زوجنيها من السماء، وتلا رسول اللهﷺ:(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ).

الرواية الثالثة: عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال :« كان النبيﷺ قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته، فخرج رسول اللهﷺ يوماً يريده، وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر، فانكشفت وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبيﷺ.

فلما وقع ذلك كُرِّهت إلى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: ما لك؟ أرابك منها شيء؟ قال: لا والله، ما رابني منها شيء يا

رسول الله، ولا رأيت إلا خيراً، فقال له رسول الله ﷺ: أمسك عليك زوجك واتق الله، فذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها».

الرواية الرابعة: عن قتادة قال: جاء زيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن زينب اشتد علي لسانها، وأنا أريد أن أطلقها، فقال له النبي ﷺ: اتق الله، وأمسك عليك زوجك، والنبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يطلقها، ويخشى قالة الناس إن أمره بطلاقها، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ﴾.

الرواية الخامسة: عن مقاتل بن سليمان قال: زَوَّجَ النبي ﷺ زينب بنت جحش من زيد، فمكثت عنده حيناً، ثم إنه عليه السلام أتى زيداً يوماً يطلبه، فأبصر زينب قائمة، وكانت بيضاء جميلة جسيمة من أتم نساء قريش، فهويها وقال: سبحان الله مقلب القلوب، فسمعت زينب بالتسبيحة، فذكرتها لزيد، ففطن زيد فقال: يا رسول الله، ائذن لي في طلاقها، فإن فيها كبراً، تعظم عليَّ وتؤذيني بلسانها، فقال عليه السلام: أمسك عليك زوجك واتق الله.

الرواية السادسة: عن عكرمة قال: «دخل النبي ﷺ يوماً بيت زيد، فرأى زينب وهي بنت عمته، فكأنها وقعت في نفسه، فأنزل الله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ ».

الرواية السابعة: عن الشعبي: «أن رسول اللهﷺ رأى زينب بنت جحش فقال: سبحان الله، مقلب القلوب، فقال زيد بن حارثة: ألا أطلقها يا رسول الله؟ فقال: أمسك عليك زوجك؛ فأنزل الله عز وجل:﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ ».

الرواية الثامنة: عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة: «أن رسول اللهﷺ جاء بيت زيد بن حارثة ، فاستأذن، فأذنت له زينب، ولا خمار عليها، فألقت كم درعها على رأسها، فسألها عن زيد، فقالت: ذهب قريباً يا رسول الله، فقام رسول اللهﷺ وله همهمة، قالت زينب: فاتبعته، فسمعته يقول: تبارك مصرف القلوب، فما زال يقولها حتى تغيب ») .

ثم ذكر مذاهب أهل العلم والتفسير تجاه تلك الروايات حول القصة فقال:

(اختلف المفسرون وأهل الحديث، تجاه هذه الروايات الواردة في سبب نزول الآية، على مذهبين:

المذهب الأول: رد هذه الروايات وإنكارها؛ وذلك لعدم ثبوتها، ولما فيها من قدحٍ بعصمة النبيﷺ.

ويرى أصحاب هذا المذهب: أن الصواب في سبب نزول الآية: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أوحى الله إليه أن زيداً يطلق زينب، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها له، فلما تشكى زيد للنبي صلى الله عليه وسلم خلق زينب، وأنها لا تطيعه، وأعلمه بأنه يريد طلاقها، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة الأدب والوصية: اتق الله، أي في أقوالك، وأمسك عليك زوجك، وهو يعلم أنه سيفارقها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يُرِدْ أن يأمره بالطلاق، لما علم من أنه سيتزوجها، وخشي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلحقه قول من الناس

في أن تزوج زينب بعد زيد وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها؛ فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في أمر قد أباحه الله تعالى له.

وهذا المذهب روي عن: علي بن الحسين، والزهري، والسُّدِّي.

وذكر القرطبيان: أن هذا القول هو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين، والعلماء الراسخين، وممن قال به:

أبو بكر الباقلاني، وبكر بن العلاء القشيري، وابن حزم، والبغوي، وابن العربي، والثعلبي، والقاضي عياض، والواحدي، وأبو العباس القرطبي، وأبو عبدالله القرطبي، والقاضي أبي يعلى، وابن كثير، وابن القيم، وابن حجر، وابن عادل، والآلوسي، والقاسمي، ورحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، وابن عاشور، والشنقيطي، وابن عثيمين.

قال القاضي عياض: «اعلم أكرمك الله، ولا تسترب في تنزيه النبيﷺ عن هذا الظاهر، وأن يأمر زيداً بإمساكها، وهو يحب تطليقه إياها، كما ذُكِرَ عن جماعة من المفسرين، وأصح ما في هذا: ما حكاه أهل التفسير، عن علي بن حسين: أن الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه، فلما شكاها إليه زيد قال له: أمسك عليك زوجك واتق الله، وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما الله مبديه و مظهره بتمام التزويج وتطليق زيد لها»..

وقال أبو العباس القرطبي: «وقد اجترأ بعض المفسرين في تفسير هذه الآية، ونسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يليق به ويستحيل عليه، إذ قد عصمه الله منه ونزهه عن مثله، وهذا القول إنما يصدر عن جاهلٍ بعصمته عليه الصلاة والسلام عن مثل هذا، أو مُسْتَخِفٍّ بحرمته، والذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين: أن ذلك القول الشنيع ليس بصحيح، ولا يليق بذوي المروءات، فأحرى بخير البريات، وأن تلك الآية إنما تفسيرها ما حُكي عن علي بن حسين».

أدلة هذا المذهب:

استدل أصحاب هذا المذهب على ما ذهبوا إليه، بأدلة منها:

الدليل الأول: أن الله تعالى أخبر أنه مُظهِرٌ ما كان يخفيه النبيﷺ، فقال: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، ولم يُظهرْ سبحانه غير تزويجها منه، حيث قال: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾، فلو كان الذي أضمره رسول اللهﷺ محبتها أو إرادة طلاقها؛ لأظهر الله تعالى ذلك؛ لأنه لا يجوز أن يُخبر أنه يُظهرُهُ ثم يكتمه فلا يظهره، فدل على أنه إنما عُوتِبَ على إخفاء ما أعلمه الله إياه: أنها ستكون زوجة له، لا ما ادعاه هؤلاء أنه أحبها، ولو كان هذا هو الذي أخفاه لأظهره الله تعالى كما وعد.

الدليل الثاني: أن الله تعالى قال بعد هذه الآية: ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ ﴾، وهذه الآية تدل على أنهﷺ لم يكن عليه حرج في زواجه من زينب رضي الله عنها، ولو كان على ما روي من أنه أحبها وتمنى طلاق زيدٍ لها، لكان فيه أعظم الحرج؛ لأنه لا يليق به مدَّ عينيه إلى نساء الغير، وقد نُهي عن ذلك في قوله تعالى: ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

الدليل الثالث: أن زينب رضي الله عنها تعتبر بنت عمة النبيﷺ، ولم يزل يراها منذ ولِدَت، وكان معها في كل وقت وموضع، ولم يكن حينئذ حجاب، وهو الذي زوجها لمولاه زيد، فكيف تنشأُ معه وينشأُ معها، ويلحظها في كل ساعة ولا تقع في قلبه إلا بعد أن تزوجها زيد، وقد كانت وهبت نفسها للنبيﷺ وكرهت غيره، فلم تخطر بباله صلى الله عليه وسلم، فكيف يتجدد لها هوىً لم يكن، حاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك، وهذا كله يدل على بطلان القصة، وأنها مختلقة موضوعة عليه ﷺ.

الدليل الرابع: أن الله تعالى بيّن الحكمة من زواجه ﷺ بزينب، فقال: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾، وهذا تعليل صريح بأن الحكمة هي قطع تحريم أزواج الأدعياء، وكون الله هو الذي زوجه إياها لهذه الحكمة العظيمة، صريح في أن سبب زواجه إياها ليس هو محبته لها، التي كانت سبباً في طلاق زيد لها، كما زعموا، ويوضحه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ﴾؛ لأنه يدل على أن زيداً قضى وطره منها، ولم تبق له بها حاجة، فطلقها باختياره.

المذهب الثاني: قبول هذه الروايات واعتمادها، وجعلها سبباً في نزول الآية.

ويرى أصحاب هذا المذهب: أنَّ النبيﷺ وقع منه استحسان لزينب، وهي في عصمة زيد، وكان حريصاً على أن يطلقها زيد فيتزوجها هو، ثم إن زيداً لما أخبره أنه يريد فراقها، ويشكو منها غلظة قول، وعصيان أمر، وأذىً باللسان، وتعظماً بالشرف، قال له: اتق الله فيما تقول عنها، و أمسك عليك زوجك، وهو يخفي الحرص على طلاق زيدٍ إياها، وهذا هو الذي كان يخفي في نفسه، ولكنه لزم ما يجب من الأمر بالمعروف، قالوا: وخشي النبيﷺ قالة الناس في ذلك، فعاتبه الله تعالى على جميع هذا.

وهذا المذهب روي عن: قتادة، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وعكرمة، ومحمد بن يحيى بن حبان، ومقاتل، والشعبي، وابن جريج، وهو اختيار ابن جرير الطبري، والزمخشري، والبيضاوي، وأبي السعود، وابن جزي، والعيني، والسيوطي.

قال ابن جرير الطبري :« ذُكِر أن النبيﷺ رأى زينب بنت جحش فأعجبته، وهي في حبال مولاه، فألقي في نفس زيد كراهتها، لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ﷺ ما وقع، فأراد فراقها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال له رسول اللهﷺ: أمسك عليك زوجك، وهو ﷺ يحب أن تكون قد بانت منه لينكحها، واتق الله،

وخفِ الله في الواجب له عليك في زوجتك، ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ يقول: وتخفي في نفسك محبة فراقه إياها، لتتزوجها إن هو فارقها، والله مبدٍ ما تخفي في نفسك من ذلك، ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وتخاف أن يقول الناس أمر رجلاً بطلاق امرأته ونكحها حين طلقها، والله أحق أن تخشاه من الناس».

أدلة هذا المذهب:

استدل أصحاب هذا المذهب على ما ذهبوا إليه، بأدلة منها:

الدليل الأول: الروايات الواردة في سبب نزول الآية، والتي فيها التصريح بما قلنا.

واعتُرِضَ: بأن هذه الروايات ضعيفة، وليس فيها شيء يصح.

الدليل الثاني: أنه قد روي عن عائشة، وأنس - رضي الله عنهما - أنهما قالا: «لَوْ كَانَ رَسُولُ صلى الله عليه وسلم كَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ ».

قالوا: وهذا يدل على أنهﷺ وقع منه حب لزينب، وأنه كان يخفي ذلك، حتى أظهره الله تعالى.

واعتُرِضَ: بأن مراد عائشة، وأنس رضي الله عنهما: أن رغبة النبي ﷺ في تزوج زينب، كان سراً في نفسه لم يُطلِعْ عليه أحداً، إذ لم يؤمر بتبليغه إلى أحد، وعلى ذلك السر انبنى ما صدر منه لزيد في قوله: ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾، ولما طلقها زيد ورام تزوجها، علم أن المنافقين سيرجفون بالسوء، فلما أمره الله بذكر ذلك للأمة، وتبليغ خبره، بَلَّغَهُ ولم يكتمه، مع أنه ليس في كتمه تعطيل شرع، ولا نقص مصلحة، فلو كان كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية، التي هي حكاية سِرٍّ في نفسه، وبينه وبين ربه تعالى، ولكنه لما كان وحياً بلغه؛ لأنه مأمور بتبليغ كل ما أنزل إليه).

ثم رجح الشيخ القصير القول الأول؛ فقال:

(الحق أن هذه القصة مختلقة موضوعة على النبيﷺ، وأن الآية لا يصح في سبب نزولها إلا حديث أنس رضي الله عنه، وهذا الحديث ليس فيه شيء مما ذكر في هذه القصة، فيجب الاقتصار عليه، وطرح ما سواه من الروايات الضعيفة.

ومما يدل على وضع هذه القصة:

الدليل الأول: أنها لم تُرو بسند متصل صحيح، وكل الروايات الواردة فيها، إما أنها مرسلة، أو أن في أسانيدها ضعفاء ومتروكين.

الدليل الثاني: تناقض روايات هذه القصة واضطرابها، ففي رواية محمد بن يحيى بن حبان: أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء يطلب زيداً في بيته، وأن زينب خرجت له فُضلاً متكشفة، وأما رواية ابن زيد ففيها أن زينب لم تخرج إليه، وإنما رفعت الريح الستر فانكشفت وهي في حجرتها حاسرة، فرآها النبيﷺ، وتأتي رواية أبي بكر بن أبي حثمة فتخالف هاتين الروايتين، وتدعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها، فأذنت له ولا خمار عليها، وهذا الاضطراب والتناقض بين الروايات يدل دلالة واضحة على أن القصة مختلقة موضوعة.

الدليل الثالث: أن هذه الروايات مخالفة للرواية الصحيحة الواردة في سبب نزول الآية، والتي فيها أن زيداً جاء يشكو للنبي ﷺ زينب، ولم تذكر هذه الرواية شيئاً عن سبب شكواه، وهي صريحة بأنه جاء يشكو شيئاً ما، وأما تلك الروايات الضعيفة فتدعي أن زيداً عرض طلاقها على النبيﷺ نزولاً عند رغبته، لما رأى من تعلقه بها، وهذا يدل على ضعف هذه الروايات ووضعها.

الدليل الرابع: أن هذه الروايات فيها قدح بعصمة النبيﷺ، ونيل من مقامه الشريف، فيجب ردها وعدم قبولها، وتنزيه مقام النبيﷺ عن مثل هذه الأكاذيب المختلقة الموضوعة.

الدليل الخامس: أن الآيات النازلة بسبب القصة ليس فيها ما يفيد أن النبيﷺ وقع منه استحسان لزينب رضي الله عنها، وقد تقدم وجه دلالتها على هذا المعنى، في أدلة المذهب الأول، والله تعالى أعلم)[١] ا هـ.

فلا مجال بعد ذلك للاحتجاج بهذه الأكاذيب للقدح –تقليداً للمستشرقين– في النبيﷺ.

الشبهة الثانية: أن هند بنت عتبة رضي الله عنها بقرت بطن حمزة رضي الله عنه ولاكت كبده:

وجوابها ببيان المرويات التي رويت في هذا الباب، وأيها الصحيح وأيها الذي لا يصح، وذلك على النحو التالي:

أولاً: ذكر المرويات الصحيحة في الباب:

١ – أخرج البخاري في صحيحه[٢]، و أحمد في مسنده[٣]، والبيهقي في الدلائل[٤]، و الطبري في تاريخه مختصراً[٥]، وابن إسحاق بسند البخاري وحديثه[٦]، من حديث وحشيٍّ نفسه الذي، رواه عنه جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال:

(١) الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم عرض ودراسة، للدكتور أحمد بن عبدالعزيز القصير، ص ٧٠٩–٧٢٣.

(٢) (برقم ٤٠٧٢)

(٣) (٣/ ٥٠١)

(٤) (٣/ ٢٤١)

(٥) (٢/ ٥١٦–٥١٧)

(٦) انظر: ابن هشام (٣/ ١٠٢–١٠٥)

خرجت مع عبيدالله بن عدي بن الخيار إلى الشام، فلما قدمنا حمص قال لي عبيدالله: هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم، وكان وحشي يسكن حمص، قال: فسألنا عنه فقيل لنا: هو ذاك في ظل قصره كأنه حَميت – أي : زق كبير مملوء –، قال:

فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير فسلمنا، فرد السلام، قال: وعبيدالله متعجر بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه و رجليه، فقال عبيدالله: يا وحشي أتعرفني؟ قال: فنظر إليه ثم قال: لا والله، إني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها أم قتال بنت أبي العيص، فولدت له غلاماً بمكة فكنت أسترضع له – أي أطلب من يرضعه –، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه فلكأني أنظر إلى قدميك.

زاد ابن إسحاق: والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التي أرضعتك بذي طوى، فإني ناولتكها وهي على بعيرها فأخذتك فلمعت لي قدمك حين رفعتك، فما هي إلا أن وقفت عليّ فعرفتها.

قال الحافظ: (و هذا يوضح قوله في رواية الباب "فكأني أنظر إلى قدميك" يعني: أنه شبه قدميه بقدم الغلام الذي حمله فكأنه هو، وبين الرؤيتين قريب من خمسين سنة، فدل ذلك على ذكاء مفرط ومعرفة تامة بالقافة)[٧].

قال: فكشف عبيدالله عن وجهه ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال: نعم، إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار، فقال لي مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر، قال: فلما أن خرج الناس عام عينين –وعينين جبل بحيال أحد بينه و بينه واد– خرجت مع الناس إلى القتال، فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبدالمطلب، فقال: يا سباع

(٧) الفتح (٧/ ٤٢٦)

يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، أتحاد الله و رسوله صلى الله عليه وسلم؟ قال: ثم شد عليه، فكان كأمس الذاهب –أي صيره عدماً و هي كناية عن قتله–.

قال: و كمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثنته –عانته، و قيل ما بين السرة والعانة– حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسلاً، فقيل لي: إنه لا يهيّج الرسل، قال: فخرجت معهم حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآني قال: أنت وحشي، قلت: نعم، قال أنت قتلت حمزة؟ قلت: قد كان من الأمر ما بلغك، قال: فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟

وفي رواية عند الطبراني في الكبير[٨] بإسناد حسن[٩]، من حديث وحشي، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي: وحشي؟ قلت: نعم، قال: قتلت حمزة؟ قلت: نعم، و الحمدلله الذي أكرمه بيدي ولم يهني بيده، فقالت له قريش –أي للنبي صلى الله عليه وسلم– : أتحبه و هو قاتل حمزة؟ فقلت: يا رسول الله فاستغفر لي، فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض ثلاثة، ودفع في صدري ثلاثة، وقال: وحشي أخرج فقاتل في سبيل الله كما قاتلت لتصد عن سبيل الله. قال: فخرجت، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مسيلمة الكذاب، قلت: لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة، قال: فخرجت مع الناس، فكان من أمره ما كان، قال: فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس –أي لونه مثل الرماد من غبار الحرب– قال: فرميته

(٨) (١٣٩/٢٢)

(٩) مجمع الزوائد (٦/ ١٢١)

بحربتي، فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه، قال: ووثب رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته.

قال: قال عبدالله بن الفضل: فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبدالله بن عمر يقول: فقالت جارية على ظهر بيت: وا أمير المؤمنين قتله العبد الأسود.

٢ – عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : (كان حمزة يقاتل يوم أحد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيفين ويقول: أنا أسد الله).

أخرجه ابن سعد[١٠]، والحاكم[١١] وصححه، ووافقه الذهبي[١٢].

٣ – عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: (من رأى مقتل حمزة)؟ فقال رجل أعزل: أنا رأيت مقتله، قال: (فانطلق أرناه)، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف على حمزة؛ فرآه وقد شق بطنه، وقد مُثِّل به، فقال: يا رسول الله، مُثِّل به والله، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينظر إليه، و وقف بين ظهراني القتلى فقال: (أنا شهيد على هؤلاء، كفنوهم في دمائهم فإنه ليس جرح يجرح في الله إلا جاء يوم القيامة يدمى، لونه لون الدم، و ريحه ريح المسك، قدموا أكثرهم قرآناً فاجعلوه في اللحد).

رواه الطبراني، وقال الهيثمي في المجمع[١٣]: (ورجاله رجال الصحيح)، ولفظة: (أنا شهيد على هؤلاء) أخرجها البخاري[١٤]، وأبو داود[١٥]، والترمذي[١٦]، والنسائي[١٧]، وابن ماجه[١٨]، من حديث جابر رضي الله عنهما.

---

(١٠) (٣/ ٦)

(١١) (٣/ ١٩٤)

(١٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ١٧٧)

٤ — و في رواية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يلتمس حمزة، فوجده ببطن الوادي قد بُقِرَ بطنه عن كبده ومُثِّل به، فَجُدِعَ أنفُهُ وأذناه، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى ما به: (لولا أن تحزن صفية، ويكون سنّة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن، لأمثلنَّ بثلاثين رجلاً منهم)، فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمِّه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلنَّ بهم مُثْلَةً لم يمثلها أحد من العرب.

رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع[١٩]، وروي بأسانيد كلها ضعيفة، ولهذا الحديث شواهد.

ثانياً: ذكر المرويات الضعيفة في الباب:

١ – روى موسى بن عقبة، أن وحشياً بقر عن كبد حمزة وحملها إلى هند بنت عتبة فلاكتها فلم تستطع أن تستسيغها.

ذكره ابن كثير في البداية والنهاية[٢٠] دون إسناد، فهو ضعيف.

٢ – وروى ابن إسحاق أن هنداً هي التي بقرت عن كبد حمزة، وزاد أن هنداً

---

(١٣) (٦/ ١١٩)، وانظر المطالب العالية (برقم ٤٣٢٥)

(١٤) (برقم ٤٠٧٩)

(١٥) برقم ٣١٣٨)

(١٦) (برقم ١٠٣٦)

(١٧) (٣/ ٦٢)

(١٨) (برقم ١٥١٤)

(١٩) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ١٣٨-١٣٩)

اتخذت من آذان الرجال و أنفهم خدماً (أي خلاخل) وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها و قرطيها وحشياً.

ذكره ابن هشام[٢١]، بإسناد منقطع موقوف على ابن كيسان، فهو ضعيف.

٣ – وروى الواقدي أنّ وحشياً عندما قتل حمزة حمل كبده إلى مكة ليراها سيده جبير بن مطعم.

ذكره في المغازي[٢٢]، والواقدي متروك، فروايته ضعيفة جداً.

٤ – وذكر الشامي أنّ الواقدي والمقريزي –في الإمتاع– رويا أن وحشياً شق بطن حمزة وأخرج كبده و جاء بها إلى هند فمضغتها ثم لفظتها، ثم جاءت معه إلى حيث جثة حمزة، فقطعت من كبده وجدعت أنفه و قطعت أذنيه، ثم جعلت مَسَكَتين ومعضدين و خدمتين حتى قدمت بذلك مكة.

ذكره في سبل الهدى والرشاد[٢٣]، ولعل رواية الواقدي والمقريزي التي أشار إليها الشامي تفيد الجمع بين روايتي ابن عقبة وابن إسحاق، وتوافقهما في المضمون، وهي ضعيفة.

ومن خلال النظر في هذه المرويات فإنا نخرج بملاحظتين:–

الأولى: أن التمثيل بجثة حمزة فقد ثبت بطرق صحيحة كما ذكرن ، مما يدل على أن قصة بقر كبد حمزة –التي ذكرها أهل المغازي والسير– لها أصل.

---

(٢٠) (٤/ ٤٣)

(٢١) (٣/ ١٣٣)

(٢٢) (١/ ٣٣٢)

(٢٣) (٤/ ٣٢١)

الثانية: أن هنداً بريئة من هذا الفعل المشين، وذلك لضعف جميع الطرق التي جاءت تفيد بأن هنداً هي التي قامت ببقر بطن حمزة والتمثيل بجثته.

والله أعلم بالصواب[٢٤] .

(٢٤) الكلام مقتبس من مقال على الشبكة بعنوان: (تبرئة هند بنت عتبة من دم أسد الله حمزة)، على موقع: http://arabic.islamicweb.com/shia/hind.htm

الخاتمـــة

الحمد لله الذي وفق لبلوغ تمام البحث ونهايته، والله أسأل أن يجعله حجة لي لا عليَّ، وقد لاح من خلال ذلك عظم الحاجة إلى تصدي بعض المعتنين والمشتغلين بالعلم للرد على إرجاف المرجفين وشبه المشبهين، لا سيما وضلالاتهم قد ذهبت بعقول بعض من يسمون أنفسهم بـ(مثقفين)، وطاروا بقول هؤلاء كل مطار، وظنوا تقميشاتهم علماً يركن إليه، وأساءوا الظن بأهل العلم وطلابه لأنهم يكتمون أشياء من الأخبار والروايات التي تدل على أن القضايا الشرعية ليست بهذه النهائية المدعاة؛ ولكن –بحسب قولهم- هناك مواضع كثيرة الأمر فيها بخلاف ما يقوله العلماء، وتحتاج إلى تفسير وبيان..الخ هذا الهراء والمخرقة.

ولعل هذه الكتابات التي كتبها زملائي في هذا التخصص لهذا الفصل تكون نواة لبحوث على هذا المنوال، لأن البحث أثبت لي أن كثيراً مما يطرح في الإعلام المقروء على وجه الخصوص من أضاليل الكتاب والصحفيين وغيرهم، إنما هي إجترار لكتابات المستشرقين وأتباعهم من الحداثيين وأصحاب القراءات التجديدية، فإذا ما فُنِّدت تلك الكتابات –جواباً ورداً- بطل السحر على الساحر!

وإن مما يحسن التنبيه عليه هنا: أن كتباً بهذه الضخامة، في عدد الأوراق وكثرة الأغلاط لا يمكن النظر فيها للنقد من خلال وقت قصير –كالفصل الدراسي الواحد- لأن هذا سيقتل الدراسة؛ هذا إذا كان المقصود هو النقد والدراسة.

وأما إذا كان المقصود التدريب فإن التدريب يحصل بأقل من ذلك من مسائل العلم، فلو انتقيت بعض مسائل الكتاب –مثلاً- للرد عليها لكان ذلك أدعى

لحصول المقصود، فليت أنه يتنبه لذلك مستقبلاً إن شاء الله تعالى في الدراسات القادمة.

أسأل الله تعالى أن يشكر مسعى فضيلة الشيخ الكريم المفضال الدكتور: عادل الشدي، وأن يعظم مثوبته آمين، وأن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين، وأن يجنبنا الحور بعد الكور، ومزالق أهل السعير، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.